
محمد عبدالله الطاهات
نصوص قصصية وبوح النساء
المجموعة القصصية
البيروني
ناشرون . موزعون
BEYROUNI
PUBLISHERS
&DISTRIBUTORS

المجموعة القصصية

نصوص قصصية وبوح النساء

محمد عبدالله الطاهات

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2013/9/3210)

813.9

الطاهات، محمد عبدالله

المجموعة القصصية نصوص قصصية وبوح النساء/محمد عبدالله الطاهات. - عمان:دار البيروني للنشر والتوزيع، 2013

( ) ص.

ر.أ.: 2013/9/3210.

الواصفات: /القصص العربية//علم الحديث/

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

ISBN: 978-9957-568-32-0 (ردمك)



شركة دار البيروني للنشر والتوزيع

الأردن - عمان - وسط البلد - شارع السلط - بناية رقم (٢٣)

ص.ب: ١٨٢٢١٢ عمان ١١١١٨ - تليفاكس: ٩٦٢٦٤٦٥١٠٠٤+

Email:beyrouni.publisher@gmail.com

حوار مع صديقي اليمني

كنت ألهث وأنا ألقي بجثتي المتعبة على حجر هو أقرب إلى الصخرة منه إلى الحجر، صعدت لتوي هذا الجبل الشامخ الذي يصعد في أعماق السماء على الرغم من سنوات خمسين أحملهن على جسدضئيل أوهنته الخطوب، أنا مستلب حتى التخمة فيما أشاهد من مناظر تثير في النفس البهجة وتحي الأمل وتنهض بالهمة، تمتد من قعر الجبل إلى القمة، ترافقني في طريقي، تؤنس وحشتي وتدفعني بشوق ولهفة للوصول إلى آخر الشوط، أول مرة أصعد جبلا بهذا العلو، قلت : سبحان الله، كم صمدت هذه الجبال المحدقة بي من كل الجوانب، تتحدى الريح والشمس والمطر والحروب وما يحدث عليها الإنسان، وما يحدثه الإنسان فوقها كثير، تظللني الأشجار الخضراء وتصطدم عيناي بالبيوت المتعلقة بهذه الصخور الشعثاء والمدرجات المليئة بالخضرة والحبوب.

علوت قليلا، وقفت أتأ مل في الوديان والقرى المتناثرة هنا وهناك، ينزع بي العجب والخيال إلى قدرة الإنسان اليمني على تسخير هذه الطبيعة الوعرة لزراعته وبناء مسكنه وعمله مع عدم وجود الطرق الممهدة التي تساعدهم على نقل المواد اللازمة لنقل مثل هذه المواد .

لم أخلص من اندهاشي بعد، جاءني على حين غفوة، لم ألتقط أنفاسي بعد، يرتدي الوزرة والقميص، حاسر الرأس، أسمر البنية وفي ريعان الشباب، سلم وجلس قال بأدب :

- أنت الأخ الأردني ؟
- نعم، وأنت من تكون ؟
- أنا أدرس في مدرسة ثبا ب التي تدرس أنت فيها، أليس كذلك ؟
- بلى
- رحب بي وقال : أنا في المدرسة الصباحية وأنت في المسائية.
- قلت مستغربا: في مدرسة واحدة ولم نلتق من قبل.
- لا غرابة في ذلك، المدرسة كبيرة وأنت ما زلت حديثا فيها وأضاف: في المدرسة خمسون معلما لا أعرف إلا القليل منهم.
- وما إن استقر بنا المقام حتى قال : أترى هذه القرية وأشار إليها بإصبعه، أترى هذه الصخرة التي تجلس عليها، ونقل إشارته إليها.
- نعم.
- هذه القرية من اليمن الجنوبي وهذه الصخرة هي الحد الفاصل بين اليمن الشمالي واليمن الجنوبي، ونقل يده إلى مكان آخر، يمكنك أن تشاهد البحر وعدن، لكن الجو لا يساعد الآن.
- قلت أنت تقصد اليمن الماضي وليس الحاضر.

- قال نعم.

- فرض الصمت ظله بعض الوقت، ثم استدرك، هل تصد ق ؟، إذا أردت أن تزور هذه القرية وهي على بعد أمتار كما ترى يجب أن تذهب إلى صنعاء وتحصل على تصريح،

- كانوا يخافون منا ونخاف منهم، ونحن شعب واحد وأمة واحدة، أقارب وأبناء عمومة.

- قرأت مثل هذا في بعض كتبكم، كم أتمنى أن تحدثني عن اليمن الحاضر.

- تنهد متحسرا وبدأ وجهه يتجهم كأنما أتيته بداهية دهياء ومصيبة كأداء، تنفس كأنما يلهث :

- أمالنا كبيرة وتطلعاتنا للمستقبل أكبر، لكن الطريق وعر كوعورة هذا الجبل.

- ليس على العزيمة مستحيل، تسيرون إلى الأمام ببطء، لكنكم تسيرون.

- أشرت بيدي متفائلا مرحا لعلي أخفف من الأسى الذي لبسه، وكانت الكلمات تمشي بيننا مشي البطة العرجاء، فا جأني قائلا :

- دعنا من اليمن الحاضر واليمن الماضي، حدثني عن الأردن، لقد سمعت عنه الكثير وأريد أن أتحقق مما سمعت.

- رددت عليه بسرعة وغضب وانتقل الأسى والتجهم منه إلي، كأننا فوق هذا الجبل نمثل مسرحية نتبادل فيها الأدوار.

- أنا جئت إلى هنا متجشما مشقة الصعود لكي أسلو وأتخفف مما أعاني من شوق

إلى أهلي ووطني، وتأبى إلا أن تثير أشجاني، لاشئ أغلى من الوطن.

- صحيح صحيح لاشئ أغلى من الوطن وأومأ برأسه موافقا.

- نحن أبناء وطن واحد وما هي إلا أسماء لتحديد المواقع، حتى وان كان الاستعمار قد أوجد هذه الحدود، فهي تظل حدودا وهمية تزول مع تقدم الوعي والعلم، والحدود بيننا مثل هذا الحد الذي نجلس فيه، لقد زال الآن وكذلك الحدود التي بيننا ستتساقط واحدا بعد الآخر.

- أيدني بإيماءة من رأسه وحركات من يديه ولا أدري مدى قناعته بما أقول، وحتى نظل ضمن الدائرة التي نحن فيها، وفي مضمون الحديث الذي نحن بصدده قلت مستدركا:

- أتريد أن أحدثك عن الأردن الماضي أم الحاضر أم تريد شيئا محددا ؟

- أود أن تحدثني عن كل شئ، رتب الحديث كما تشاء وأنا كلي أذان صاغية .

- ما تفعلونه الآن في اليمن فعلناه في الأردن منذ عقود.

- أتقصد أن بيننا وبينكم نصف قرن تقريبا ؟

- ليس بالتحديد ولكل ظروفه، أنتم كان لكم من المعيقات والحروب الشئ الكثير.

- وكيف عرفت ؟

- أنتم تقولون إذا أردت أن تعرف اليمن فأقرأ محمد أحمد عبد الولي، وأنا قرأت محمد أحمد عبد الولي..

- ضحك وضحكت وكل منا يشعر برغبة لاستمرار الحديث، والحديث عن الوطن

ممتع بكل الوجوه وبخاصة أننا نجلس فوق هذا المرتفع الشاهق ويمر الهواء بيننا رخيا نديا. المناضرحولنا

- تزيد من شهوة الحديث، كل منا لديه الرغبة في إثراء الحديث وزيادة المعرفة.
- قلت الأردن الحاضر غير الأردن الماضي ،قطع مراحل متطورة وبسرعة ؛ في كل تجمع يزيد عن مائة نسمة مدرسة / لدينا إحدى وعشرون جامعة وخمس عشرة كلية متوسطة وأربعون ألف طالب يدرسون في جامعات خارج البلاد، عندنا بطالة في الهندسة والطب ولنا أطباء ومعلمون ومهندسون يعملون في الوطن العربي، الأردن هو الأول في التعليم في الوطن العربي ،
- لا أقول هذا اعتباطا، بل قالته مصادر عربية مسؤولة، لدينا زراعة وصناعة وطرق مواصلات حديثة وكهرباء وهواتف في كل مكان.
- أفهم من حديثك أن ليس لديكم مشاكل الآن ؟.
- وأي بلد يخلو من المشاكل ؟
- حدثني عن الأحزاب والديمقراطية.
- ألم أقل لك أنك تصر على إثارة أشجاني، وبذات الوقت أحب هذه الإثارة وأعيد وأقول الحديث عن الوطن له نكهة فنجان قهوة بالحليب تشربه على مهل في حديقة غناء وأمامك حبيبة ذات

عينين دعجاوين وقامة سمهرية تغازلك وتغازلها.

ضحك وقال: أعاشق أنت ؟

- نعم أعشق بيتي، أعشق أولادي، أعشق وطني ؛ الأحزاب كثيرة، التفاهم بينها موجود والحوار موجود أيضا، وكانت في الخمسينيات والسينيات أكثر نشاطا وأكثر احتراما للرأي والرأي

- الآخر، فالأردني —كم أكره أن أقول الأردني واليمني والسوري لكني أعود وأقول لتحديد المواقع فقط — له رأيه ويحترم الرأي الآخر، أما الديمقراطية فهي حديثة وتسير بانتظام مثل سير القطار على سكة حديثة

- أتعني حرية الكلمة أم حرية أم حرية الأحزاب أم حرية الحوار ؟

- أعني كل ما ذكرت.

- والبرلمان ؟

- البرلمان موجود وله فاعلية وحضور ضمن إطار معين لا انفلات ولا تقييد، وهو بين هذه وتلك يؤدي دوره ، وأعتقد أنك تفهم ما أعني، وأقدر أن أضيف انه أفشل حلف بغداد وجعل الأردن يقف إلى جانب العراق في حرب الخليج الأولى في حين وقفت كثير من الدول العربية في خندق أمريكا ضد العراق، وهذا ما أحببناه في أحزابنا وفي برلماننا.

- لدي سؤال أتحرج في إلقائه ولكنه يلح علي.

- لاحرج عليك، ما دمنا نتحدث في شؤون الوطن فالحديث مفتوح بلا حدود ولا قيود.

- هل أنت أخ مسلم ؟

- ضحكت، ألحيتي أوحت إليك بهذا السؤال ؟ وهل كل من أطال لحيته أخ مسلم، بصراحة لا، كما أنني لست ضدهم، أنا مسلم وكفى. أحترم فكر الأخوان، لقد حضرت حوارا أداره الأخ المسلم والبعثي، كانا في غاية الانسجام مما ساعد في اغناء الحوار.

- هذه مثالية لا توجد إلا في الغرب.

- سمها كما شئت، لا أقول أن الأردن تنفرد بهذا، بل هي موجودة في تونس والجزائر ولبنان، واليمن، يكفي أنه لا يوجد في اليمن سجين سياسي، لكن لكل ظروفه ومقاييسه الخاصة به.

- الهواء ينطلق بيننا بحرية والشمس دافئة مما ذكرني الجو في بلدي، نحن في كانون الثاني ونستمتع بهذا الجو الدافئ وأولادي في بلدي يتحلقون حول المدفأة من شدة البرد.

- سمعت عن تساقط ثلوج في بلدكم، حتى أن الطائرات ساعدت في تقديم المعونة في المناطق المتضررة المحاصرة بسبب الثلوج.

- شد تني هذه الملاحظة الى أيام الشباب حيث كنا نلعب بالثلج بمرح وحيوية وانطلاق، لانعاني من وحدة ولا من غربة ،لانشعر بهم ولا نعرف الغم

- وقطع علي أخي هذا استغراقي فيما أنا فيه وقال: أتريد أن تعرف بما تحدثك نفسك الآن ؟

- وهل أنت ممن يقرؤون الطا لع ؟

- أنت تتمنى أنك الآن بين أولادك تتجاذب معهم أطراف الحديث كما نفعل نحن الآن.

- صمت.٠٠٠٠ ثم هل ترى أنني تحدثت عن نفسي وعن بلدي كثيرا، جاء الآن دورك في الحديث عن بلدك وعن نفسك.

- كيف أحدثك عن بلدي وأنت تعرف عنها أكثر مني، ألم تقل أنك "قرأت محمد أحمد عبد الولي، من يقرأ هذا الكاتب لايحتاج إلى مزيد، أما عن نفسي

- فلا شيء ذا بال، وما أنا إلا إنسان يعشق هذه الأرض الشعثاء، وفوق هذا الجبل أعاني شظف العيش وأسعى سعيا حثيثا لأساعد في نهضة بلدي.

- ما تقوله عين الحقيقة، عرفت عن اليمن الشيء الكثير برغم قصر المدة التي أمضيتها فيه، اليمن يستفزك يثير فيك كل دواخلك من حب وآمال وتمن ورغبة وخوف وقلق وحزن وسعادة وإعجاب، أحببت اليمن كما أحببت الأردن، بذلت جهدا وسعيت حثيثا حتى تحققت هذه الفرصة الثمينة

- وكانت سعادتي لا حدود لها عند ما صعدت سلم الطائرة، وشعرت بالطمأنينة عند ما ربطت حزام الطائرة قبل الإقلاع. اليمن انتصر في ثورته على الجمود والتخلف والتشتت الذي أراده له أعداؤه، هذا الانتصار كلفه سبعين ألف شهيد، لكن والحق أقول : هذا الانتصار يوازي الثمن الذي دفعه، إلا أن اليمن انهزم في شيئين.

- استفزته العبارة الأخيرة وأثارت فيه حب الاستطلاع، قال: أعرف واحدا أما الآخر

فأطلبه منك، القات أعرفه وأعرف أنه سبب من أسباب تخلف اليمن.

- قلت وبدون تمهيد: الرشوة والسلاح.
- قال معارضا : أنت ذكرت اثنين فكيف جئت بالثالثة ؟
- أما القات فأعجبني ما قرأته للشاعر الكبير الدكتور عبد العزيز المقالح.
- لا أسميه فأنتم تعرفونه
- في المقاهي تبصقونه
- في الزوايا
- عند أكواخ اليتامى تلعنونه
- انه أشهر من تاجر في سوق العبيد
- انه في بلادي حيث يبدي ويعيد
- حيث لاشيء جديد
- حيث لاشيء نعيد
- يا عبيد
- لم يعد في عالم اليوم عبيد
- حطموا ليل التفا هات البليد
- غادروا أقبية الرعب البليد
- حدقوا للشمس
- شدوها من الأفق البعيد

- ازرعوها في العيون

- في حنايا وطن الأمس السعيد

- أنزلوا آلهة الجدب العميقة

- بعثروا أيامها

- هزوا لياليها الدميمة

- مزقوا وجه الجريمة

- اقلعوا أشجارها الصغيرة

- أفيقي

- يا بقايا أمة كانت عظيمة

سعد بما قلت وطرب وزال التجهم وحل محله البشر والانبساط، افتر ثغره عن ابتسامة عريضة،

لقد أمتعتني بما قلت، وهل بعد هذا القول قول ؟ وهل بعد هذه القمة قمة ؟

قلت ضاحكا : ليس بعد هذه القمة إلا السقوط.

لا ما بعد القمة قمة وقمة وقمة.

بالمناسبة، هل تقوت ؟

ضحك ضحكة باهتة وأخذ يلقي بنظراته الى الأرض.

- نعم

- بصراحة أكثر كم تدخن في اليوم ؟

- بخمسين ريالا تقريبا

- إذن أنت تخزن بألف وخمسمائة ريال شهريا، وأظن أن راتبك الشهري ثلاثة آلاف ريال، وأنت تدخن كما أرى، لنفرض أنك تدخن بستمائة ريل شهريا، هذا إذا كنت تكتفي بعلبة واحدة يوميا، ماذا أبقيت لمتطلبات العائلة من غذاء وكساء وأشياء كثيرة أخرى ،ولا أدري إن كان أبوك واخونك يقوتون أيضا ،أنا قرأت أن خمسة وثمانين بالمائة يمضغون القات، أليس كذلك ؟

- بلى

- كم أتمنى أن أغمض عيني وأفتحهما وأنام وأصحو وإذا

- باليمن السعيد قد تخلى عن القات.

تعبنا من الحديث المرتبك المحزن في آن، لذلك لزمنا بعض الصمت من أجل الراحة والتقاط الأنفاس. وكانت الشمس قد غافلتنا ونزلت سريعا إلى الغرب، قطع محمد شي الصمت والأسى يرسم على وجهه لوحة تشكيلية .

أليس للحديث بقية ؟

لقد تعبت وأفكر في كيفية النزول من فوق هذه الصخور الشعثاء، يقولون النزول أهون من الصعود، لكن ليس هذا النزول نزولا بل هو صعود وأكثر صعوبة من الصعود ذاته.

قال : أنت تضايقت من الصعود والنزول مرة واحدة فما بالك بخمسين طالبا

وطالبة ينزلون ويصعدون كل يوم ؟·

قلت متأسيا: هذه معاناة لها ثمن.

تقصد التعليم.

نعم، وأي شيء أثمن من العلم؟ هو النور الذي يضيء كل بقعة فوق هذه الأرض، وأفضل العلم ما أخذ من جهد وقلة.

شكرا على هذا الإطراء الجميل.

ختمت، اليمن صبور وقادر على مواجهة التحديات يقبل على الحياة بشوق ونهم، وله رغبة شديدة في التعليم.

أدركنا المساء ولا بد أن أعود قبل أن يخيم الظلام أم تريدني أن أقضي بين هذه الصخور ؟

قال ضاحكا بعد أن وقفنا للوداع : أسمح لك على وعد با للقاء ثانية في بيتي، فأ نا لم أقم بواجب الضيافة.

أحتاج إلى أسبوع للراحة.

قال وللحديث بقية.

قلت نعم للحديث بقية.

ثبات - اليمن

كانون الثاني ١٩٩١

يوم الفرح

الثلج يتساقط مثل أذان القطط، يفرح الناس بالثلج ويفرح الناس بالمطر وتنتشي الأرض بهذا الزائر المرحب به، ليس مثله زائر وقليلا ما ينزل الثلج في بلادي.

يفرك محمود يديه ينشد الدفء، ويطل من النافذة فرحا بهذا الزائر الضيف، كم يزورنا من ضيوف، ليس كل الضيوف مرحبا بهم، هذا الضيف يختلف وإكرام الضيف واجب، ونحن العرب أكثر الناس إكراما للضيف، كيف نكرم هذا الضيف؟هذا هو السؤال، محمود يتمنى أن يطيل هذا الضيف مكوثه بيننا، نتحمله يقول محمود رغم ثقل ظله، أيام فقط، أكثر من ذلك لا، في روسيا يتحملونه مرغمين وكذلك في أوروبا وفي بلاد كثيرة.

يقول محمود لجليسه، أنظر ما أجمل ما أرى، يرد رفيقه الذي يجلس وراء المكتب، ويكتب في أوراق أمامه:

عليك أن تجلس، لماذا أنت واقف وتفرك يديك ؟ يفطن: صحيح لماذا لم تضع مدفأة في مكتبك ؟ كيف تتحمل كل هذا البرد؟

لم يعلق اكتفى بمراقبة الضيف من خلال النافذة، نسي أوراقه على المكتب، أخذه الضيف من نفسه ومن مكتبه.

غدا هو اليوم الثالث عشر وقضية خالد تراوح مكانها لم نسجلها في الاستئناف، أربع سنوات وخالد المسكين ينتظر، كم هو القضاء بليد في بلدنا، يقول خالد انه نسي قضيته.

ماذا أفعل له ؟ وهل نقدر على تغيير نظام القضاء ؟

محمود لايريد لهذا القلق ولهذا الضجيج ولهذا الاحتجاج ولهذا البرد أن يشوه هذه الصورة الجميلة التي يعيشها هذه اللحظة بالذات، وهو نادرا ما يشاهدها، هو يريد أن يمسك بها من كل أطرافها كما يمسك هذا الثلج بكل أطراف الشوارع والناس والبنايات ،يضع يديه في جيب بنطا له ويستمر في ذات الوضع الذي هو عليه.

فتح الباب على عجل ودخل، مضطربا كان، يفرك بيديه ويضرب بقدميه على الأرض ضربات رتيبة لعله يستدفئ.

تصورا منذ ثلاثة أيام وأطفالي بدون مدفأة.

انتبه، ترك النافذة وجاء إليه، صرخ في وجهه ،لماذا لماذا ،أأنت أب؟

يطفح الحزن من عينيه بكثافة، ويسيل الكلام من لسانه بغزارة.

لماذا لم تكلمني، لماذا لم تطلب مني، حقا إنك غبي.

رمى برأسه الى الأرض ،حاول امتصاص الصدمة ،تغاضى عن التوبيخ المنصب عليه كالمطر.

وأنت لماذا لم تضع مدفأة في مكتبك ؟

- أنا، أنا أختلف، هم أطفال صغار لايتحملون البرد، مد يده الى جيبه وناوله خمسة دنانير وقال له بعصبية :

- اقلب وجهك واشتر لهم الكاز، تعودا على هكذا خطاب فيما بينهما، ودائما وراء هذه الكلمات يكمن الحب ودفء العلاقة بينهما، نشأا معا، كانا في مدرسة واحدة.

ما ان استعد للرحيل حتى سمعوا وقع أقدام على الدرج الذي يوصل الى المكتب، كان القادم يحمل ثلاثة صناديق من الخضرة ويلهث :

- كم هو متعب هذا الدرج، لماذا لا تصلحون المصعد ؟ وأضاف موجها الحديث إليه: هذه هدية لك، لقد قمت بالواجب وأكثر عندما حصلت لي حقي بعد أن كاد يضيع.

فرح بالهدية وقال لصاحبيه اللذين معه في المكتب: خذا هذين الصندوقين لكما وهذا الصندوق لي، قال له شريكه في المكتب :

- أتملك مالا ؟

- ليس كثيرا.

- أعطني ما تملك أريد أجرة الطريق.

استعدوا لمغادرة المكتب مرة أخرى حملا ملفات قضايا يوم الغد. دخل إليهم رجل آخر يفرك بيديه من شدة البرد.

- أهلا أبي، أين معطفك ؟ فاجأه قبل أن يجلس.

- لا أملك معطفا، كان لي معطف لكنه لم يعد صالحا.

- إذن أنت تحتاج الى آخر جديد، نهض وقاد أبيه من يده.

- تعال معي ياوالدي، دخلا الى محل ملابس.

- أريد معطفا جميلا يناسب أبي.

أبدى صاحب المحل اهتماما بالموضوع، يعرفه جيدا، جيران منذ زمن طويل، وكان يبيعه بالدين، ارتدى الوالد المعطف، شعر بالدفء يتسلل لذيذا الى جسده المقرور، عرضه على المرآة، كان مناسبا في الحجم واللون.

- خذ هذا أفضل لك، قال له التاجر وناوله معطفا آخر. رفض وهو يدور حول نفسه وينظر الى المرآة،

رفض محتجا :

- لا لا هذا مناسب ويعجبني.

- أنت حر، قالها التاجر بحيادية تامة.

- انظر ياوالدي بعد أن خرجا من المحل، ما أجمل الثلج، ألا تفرح بنزول الثلج يا والدي ؟

- بلى أفرح يابني بنزول الثلج وكل الناس يفرحون بنزول الثلج.

- إلا الفقراء يا أبي، فإنهم لايفرحون، ورفع يده محتجا وكررها مرات عديدة، ومد يده ليحمي والده من كرة ثلجية قذفها أحد المارة ،قال للقاذف عندما اعتذرا ليه:

- لابأس لابأس نحن في يوم الفرح.

- تصور ياوالدي صاحبي لايملك ثمن الكاز للمدفأة.

- كثيرون هم الذين لا يملكون ثمن الكاز لمدافئهم، أنت مثلا لا تملك أجرة الطريق، لقد أخذتها من شريكك، أليس كذلك ؟

- بلى لكني أختلف أنا كبيرو أتحمل لكن الصغار لا يتحملون مثل هذا البرد القارس

الشارع شبه خال ما عدا بعض المارة ينظرون الى الثلج بإعجاب ويتقاذفون الكرات الثلجية بمرح. ثلاث فتيات وشاب يشاركون في قذف الكرات، آخر يحمل (كمرة) تصوير. صدقة لله، كانت تصك بأسنانها وطفلها بجانبها يمشي حافيا ويرتجف. مرة أخرى : أتملك نقودا ياأبي ؟

- نعم أملك قليلا من المال.

- أعطني إياه، ناوله اليها ويحنو وعطف قال لها بنبرة خطابية :

- خذي اشتر له حذاء، ورجع يفرك بيديه، أصابته إحدى الكرات وضحك: شكرا قال لقاذفة الثلج.

- أنا آسفة لم أقصد.

- لا لاتتأسفي انه يوم جميل ولنسمه يوم الفرح، أتوافقين.

- نعم أوافق وانه قليلا ما يأتي.

التقرير

لا أتذكر عدد المرات التي قابلته فيها، قد تكون ثلاثا أو أربعا ولتكن هذه المرة الخامسة، ليس لهذا الأمر أهمية، طبيعة العمل المشترك بيننا يجعلنا نلتقي بين حين وحين، نظرت إليه باسترخاء، كان يجلس وراء مكتب كبير من خشب الجوز، وكنت مقابلا له أجلس على كرسي من جلد اصطناعي لونه أسود، يحجز بيننا المكتب المزدحم بأوراق وأدوات الكتابة وهاتفين لونهما أبيض وأحمر وملفات.

استقبلني بحرارة وابتسامة عريضة ضمنها الترحيب الحار أو هكذا تخيلت، أنا أحسن الظن بالناس، ازداد عدد الشعرات البيض في رأسه الصغير ،وجهه الحليق يبدو أكثر شبابا من رأسه، دخلت فتاة تحمل أوراقا، وضعت يدها على صدرها تحاول ضم طرفي الجاكيت الخفيف الذي هو بملء قبضة اليد، ارتبكت عندما نظرت الى لحية الجالس على الكرسي المسترسلة، تحدثت إليه بشأن العمل ثم خرجت، شيعها الرجل الجالس على الكرسي بلعنات وهمس بأن النصر على الأعداء مازال بعيدا.

رحب بي مرة أخرى، تسارعت دقات قلبي، تلهيت بفحص المكان بعينين مذعورتين أعددت نفسي لما يأتي وما يأتي ليس بقليل، أنا في غاية الشفافية والحساسية، لم أشعر بالتعب وأنا أصعد الدرجات ،تعودت صعود الدرج، ياترى ماذا وراء الابتسامة العريضة

والترحيب الحار هل أتفاءل أم هو يفعل ذلك مع كل زائر، ربما، هل سيأتي النبأ السعيد الآن أم على أن أنتظر كي يهيئ الجو ؟ .

منذ زمن طويل وأنا أنتظره، قال لي قريبي: تسعون بالمائة وقلت له : بشرك الله بالخير ، تسعون بالمائة علامة متقدمة وقريبي أنفه لايخطئ، وهو قريب من الموضوع.

جاء المراسل بأوراق جديدة وملفات، أخذ يقلبها ويدقق النظر، شكرت المراسل على هذه اللفتة الكريمة، لقد منحني فرصة أكبر للتأمل وإعادة النظر فيما جئت من أجله ومهد لي لاستقبال النبأ. لم أقل هذه المرة هل هو سعيد أم غير سعيد كما كنت أفعل في المرات السابقة، لايهمني من سعادته أو شقائه شيئا، ما يهمني هو ما جئت من أجله، لقد بنيت عليه آمالا كثيرة، كيف أعيد ضربات قلبي الى ما كانت عليه سابقا قبل أن أدخل إليه.

لم يكن الاضطراب الذي اضطربته والانفعال الذي انفعلته سابقا بهذه الحدية، في السابق كانت الصدمة أخف وطأ، قال لي التقرير ليس لصالحك، لم أتأثر، هذه المرة الأمر يختلف وأعيد وأقول : تسعون بالمائة علامة متقدمة .

رفع رأسه عن الورق الذي بين يديه وأعاده الى المراسل، لم يعد في المكتب غيرنا.

- أهلا وسهلا قالها لاأدري للمرة الثانية أو الثالثة، صمت قليلا ليلتقط أنفاسه وكأنه خارج من عمل أتعبه كثيرا :

- متأسفين يا أستاذ التقرير ليس لصالحك، قالها مستعجلا وبأسلوب من يريد أن يخرج من جو خانق.

- أحسست بدوار خفيف تصاعد بالتدريج حتى شعرت بأني في طريقي الى الإغماء،

ماء بارد صب فوق جسمي لاأدري من أين جاءني، صعقة كهربية أصابتني على غفوة، مطرقة ثقيلة سقطت فوق رأسي، التصق لساني بحلقي، لم أعد قادرا على الكلام. خاطبت نفسي قائلا :

- هذا ابتزاز أين العدالة ؟ أين القيم التي ينادون بها ؟ أين الديمقراطية والمساواة والشفافية الى آخر هذه القائمة التي أهينت وصارت مثل وثيقة قريش التي أكلتها القرضة ؟ والآن ماذا علي أن أفعل ؟ لماذا يعاملوننا بهذه الطريقة ،؟ نحن بنظرهم صفر ساقط، بل صفر على الشمال كما كان يردد أخي عند خيباته، أنا لست من أقاربهم ولا من معارفهم ولا من أصحاب الشأن والنفوذ، أنا أنا لست في العير ولا النفير ونفضت يدي بنزق مرددا :

- لا لن أُقبل.

- لاحظ انفعالي ونشرة يدي، لذلك سارع وقال :

- ماذا تقول يا أستاذ ؟ هل تريد أن تقول شيئا يا أستاذ ؟

- لا لا وخرجت غاضبا.

- كتبت تقريرا أرفض فيه تقريرهم وذهبت الى مكتب الوزير، قدماي ترقصان وأنا أنقلهما الى باب معاليه.

- تفضل استرح، تفضلت واسترحت، حاولت أن أضبط انفعالي حتى لايأخذني الى مالا تحمد عقباه، علي أن أضبط أعصابي وأتصرف بحضارة، يجب أن أحاور وأناقش باسلوب علمي متحضر.

هادئة وجميلة، شعرها مسترسل ينتشر عفويا وبحرية لا تربطه بشيء، تعبث به مروحة كهربية، رائحة عطرها تأتي إلي مثل وخز الدبوس.

- أنا آسف يا أستاذ معاليه غير موجود، وصمتت تحملق في هذا الواقف أمامها وتقيسه بمقياس تعودت عليه وتعلمته من خلال خبرة طويلة، عادت وقالت وابتسامة البرتوكول لاتفارق ثغرها :

- أتريد أن توصل شيئا الى معاليه ؟

- نعم أريد منك أن توصلي إليه هذا التقرير، ومددت يدا حاولت بكل صعوبة أن تكون ثابتة، عاودت وقلت :

- متى أراجع بشأنه ؟

- سكنت وصمتت تدير بذهنها الأيام وتقيس الأعمال، رفعت الشاهد الى شفتين مضمومتين.

- معاليه مشغول هذه الأيام، تعال بعد شهر.

فكرت أن أحتج ثم عدت وقلت: ماذا ورائي، لاورائي ولا أمامي، بعد شهر بعد شهر.

عدت بعد شهر، من غير ترحيب أو مقدمات فاجأتني بقولها:

- اهتم معاليه بالموضوع كثيرا وحوله بدوره الى الأمين العام ليهتم هو الآخر وجاء رد معاليه بالأسف. ثم قالت بضحكة رسمية: أتمنى لك حظا أوفر في المرات القادمة، وأصرت على كلمة مرات.

لطمتني الحقيقة على وجهي وصرخت بصوت عال وانا أنزل الدرجات وحمدت

الله لأن أحدا لم يسمعني :

- أنا لاأصلح لهذا العمل، لأقلها بصراحة، ونزلت الدرجات حائرا زائغ العينين أحتار ماذا أفعل في هذا العمر الذي سفحته في عمل تافه لاقيمة له ولا وزن ولم يبق من العمر ما أغامر به وأرميه في سلة المهملات.

اتهمت نفسي بالتفاهة وقلة القيمة ولعنت سلس فيل نفسي التي لم أجن من ورائها إلا قبض الريح وضياع الأيام لدرجة الاهانة والإذلال.

ما ان خرجت أشم الهواء الطلق بعد الهواء الفاسد حتى جاءني الهاتف وبأسرع مما توقعت: أنت جبان لاتستحق الحياة، لقد أنسيت أن هناك شيئا في دمك وروحك لايقبل الهزيمة ويدعوك الى العناد والتحدي، وما عليك إلا أن تكمل الطريق كما بدأته، المهم أن تحاول وتحاول وتحاول، ليس المهم أن تفشل أو تنجح، المهم أن تحقق ذاتك من خلال ما ترغب وما تحب، المهم أن تعمل وتعمل وتعمل ماترغب فيه.

عام ٢٠٠٥م

- الشيخ والطفل والعيد -

جاء مندفعا فرحا مثل فرس جموح، قبل جده بحيوية ومرح، حاول ضمه بيديه الصغيرتين كعادة الكبار عند ما يسلمون على بعض، يداه الصغيرتان لم تتسعا ضخامة جسم الجد عريض المنكبين، قال والابتسامة تكلل ثغره الندي وتزيد من اشراقة وجهه المضيء التي جاء بها الفرح والعيد :

- جدي جدي أين عيديتي ؟

كان الجد يتحدث الى الرجل الذي يجلس الى جانبه مباشرة، توقف، تأمل واستعبر، لبسه صمت مفاجئ ثقيل لايدري كيف يدفعه عنه واحتار في الإجابة عن السؤال غير المتوقع الذي جاء به حفيده، وجاءت دمعة سريعة توقفت حائرة، أصابه الضعف والارتباك، قالت له الدمعة التي حاول بكل جهده أن يمنعها من السقوط :

- لم تعد تملك الإرادة لتجيب عن الأسئلة، كان ذلك في زمن مضى وانتهى ،لم تكن تخاف من الأسئلة من قبل وكانت الإجابة جاهزة وشجاعة وفاعلة، لقد دخلت في مرحلة النسيان المتعمد، الإجابة عن الأسئلة تحتاج الى الإرادة والجيوب الممتلئة، أنت لا تملك أيا منهما.

جاء هذا السؤال الصغير التافه ليفضح المستور ويدين الواقع الأبله، حتى مجرد

إشباع حاجة طفل بريء يحسن الظن بجده لا لا هو لايحسن الظن فقط، هذه لم تخطر له ببال عند ما ألقى السؤال، الذي خطر بباله هو اليقين، هو متأكد تماما أن جده الذي يحبه لن يخيب ظنه ولن يفسد عليه العيد من أجل بضعة قروش، سيجيب عن السؤال بسخاء ؛ يضع النقود في جيبه أو يناولها إياها في اليد.

في العيد كل الناس أجاويد وكل الناس تمتلئ جيوبهم بالنقود والحلوى وجده أليس من الناس ؟ بلى بلى هو من الناس بل هو على رأس القائمة، هو أصل هذه العائلة وجذرها المتين، هو يحب أولاده ويحب أحفاده أكثر، ألا يقولون : ما أغلى من الولد غير ولد الولد.

كل الذين قابلهم بالعيد أعطوه، هو لايعرف من العيد غير النقود والفرح والناس فرحون بالعيد ويملكون النقود، هل يشذ الشيخ عن القاعدة ؟ إذا شذ تهتز القاعدة وتتلاشى وتتهدم أم نحن في زمن تختل فيه القواعد ؟

شذ الشيخ عن القاعدة وسار بالاتجاه المعاكس، جيبه خالية تصفر فيها الرياح وتسكن فيها العتمة والخيبة والانهزامات المتلاحقة، منذ زمن لم تر جيبه النور حتى الحلوى التي تفرح الأطفال لم تدخلها.

انقلبت سحنته وبان الفشل في وجهه واضحا، لم يفطن للحقيقة التي جاء بها الطفل، صفعته على وجهه، حتى وان فطن لم يتغير في الموضوع شيء.

الطفل لايطلب كثيرا، مجرد قروش، القروش لم يعد لها قيمة، يلقيها الناس في الشوارع ، هي صحيح قليلة القيمة وعديمة الفائدة لكنها تفرح الطفل وتزيد من

سعادته والعيد عيد النقود وتكون قيمتها في العيد أكثر من سائر الأيام لم لم يتدبر الشيخ أمره من قبل ؟ لو خلت جيبه من النقود في سائر الأيام يجب آن تمتلئ في العيد وهذا أقل ما يمكن، لماذا يسقط في كل الرهانات ؟ هل هو البله أم الغفلة أم هو واقع فرض عليه ولم يملك غيره ؟

امتحانات، رهانات، غفلة، واقع، نحن أمام موقف باهت كئيب حزين لايرحم. أين الحكمة، أين الخبرة التي يكتسبها الشيوخ ؟ ألم تعلمه الأيام ؟ ان لم يتعلم من الأيام مم يتعلم ؟

استمر الصمت وطال وثقل ظله، ورد الطفل بصمت حائر متلجلج يلفه الضباب والظلام وشتان ما بين الصمتين.

كل يفكر بطريقته : الطفل يحسن الظن بجده، ان أساء الظن بكل الناس لايحدث هذا مع جده، جده فوق الشبهات، الشيخ يفكر بطريقة الخروج من هذا المأزق الذي وضعه فيه حفيده، وكلاهما في حيرة من أمريهما.

- هل جدي بخيل ؟ سؤال خطر ببال الطفل، لم يعهد به البخل من قبل، هل هو لايملك نقود؟ هذا غير معقول حتى الأطفال الصغار يملكون النقود في العيد، هل هو استثناء؟ الناس في العيد كرماء حتى البخلاء يتحولون الى كرماء.

أيطلب الشيخ من آحد آبنائه وهم يجلسون حوله : جاؤوا إليه يباركون له بالعيد، تماما مثل ما جاء والد الطفل الذي يجلس الى جانبه ؟

كيف يخرج من هذا النفق المظلم ؟ الطفل لايعرف أن وراء الآكمة ما وراءها، هو

يعرف الأشياء مسطحة واضحة لا غموض فيها.

استعرض أولاده وزوجاتهم و أولادهم والملابس الجديدة الغالية واستمع الى تنافس الزوجات بشراء الملابس الأغلى ثمنا.

لم يبق في قوس الصبر منزع، سدت أمامه كل النوافذ، ارتفعت الحواجز وسقط الكلام والصمت والحزن والفرح والعيد والسعادة في الامتحان.

مال الى الطفل قليلا وضمه الى صدره ضمة باردة مصطنعة لاروح فيها ولا حياة وهمس في أذنه :

- جدي ليس معي نقود.

سكن الطفل مستغربا، لماذا يقولها همسا ؟ أيخاف أن يسمعه أحد ؟ كم هو بخيل هذا الجد، كيف تصفه أمي بالكرم والقوة والشجاعة ؟ جدكم يا أولاد كريم وشجاع، وأبي يقول عنه هكذا، أبي وأمي يكذبان.

نظر الشيخ الى الطفل يبحث عن كلمات عجز الطفل عن قولها ودعا ربه ألا يكون والد الطفل قد سمع همس الجد الى ابنه.

سقطت الدمعة التي ظلت حائرة في عيني الشيخ وامتلأ المكان بالعتمة، وظلت ضحكات الأولاد وزوجاتهم تضرب وجه الشيخ مثل ريح نتنة تذكره بما هو فيه وتقول له :

امش الى المجهول، الى الغفلة والنسيان، لم يعد لك مكان وسط هذا الفرح ووسط هذا العيد.

عام ٢٠٠٧م

المعبر مغلق

أركنت سيارتي في موقف سيارات بالمجان، مواقف سيارات الأجرة في المدينة كثيرة لكنني أبتعد عنها، المبلغ الذي أدفعه مقابل وقوف سيارتي في مواقف الأجرة قليل إلا أن القليل مفيد لمن هو مثلي من ذوي الدخل المحدود.

جلست في سيارتي أرقب المشهد من خلال زجاج السيارة وكنت قد لمعته جيدا؛ قدمت لتوي من المسجد لتأدية صلاة الظهر، كان مغلقا، لماذا يغلقون المسجد بعد ربع أو نصف ساعة من إقامة الصلاة؟ لم أتأخر بكيفي، الازدحام شديد، اليوم السبت عطلة رسمية، استلم الموظفون رواتبهم قبل يومين وهم يتسارعون للخلاص من هذا الراتب كأنه بعبع يخوفهم أو لايطيقون أن يظل في جيوبهم، الناس في الشوارع كالنمل تنغل بهم المدينة والسيارات كالمطر تتراشق في الشوارع تزحم بعضها بعضا ؛ قد تحتاج الى نصف ساعة حتى تقطع شارع الهاشمي مثلا، قس على ذلك معظم شوارع المدينة.

في الأعوام الأخيرة كثرت السيارات، نادرا ما تجد بيتا يخلو من سيارة، بعضها تجد أمامها سيارتين أو ثلاث، جاري له خمسة أولاد تقف أمام بيته خمس سيارات.

تركت زوجتي في سوق الملابس العتيقة وقدت سيارتي الى هذا الموقف الذي أشرت إليه، أنا لاأحب مرافقة النساء الى الأسواق.

سيارات تدخل وأخرى تخرج من خلال معبر ضيق ووحيد ؛ امرأة محجبة وزوجها الملتحي أوقفا سيارتهما أمامي مباشرة ،فكرت أن أقول له : أترك لي مكانا، قد أخرج سيارتي في أي وقت، أنا أضع الخلوي على الكرسي بجانبي وأنتظر مكالمة من زوجتي، عدلت عن الفكرة عندما نظرت الى الوراء، قلت : هناك فسحة ضيقة بعض الشيء ومع ذلك بإمكاني أن أخرج سيارتي.

جاءت سيارة نقل متوسطة وأغلقت الممر أمامي إغلاقا تاما، نزل صاحبها يلوح بسلسلة مفاتيح ويصفر، تساءلت بحزن لماذا لايحسب حساب الآخرين ؟ أم هي اللاأبالية وا لا اهتمام، كررت ما قلته سابقا : مازال هناك متسع في الخلف. سيارة فارهة جدا جدا وقفت في المعبر فأغلقته، نزل منها رجل وسيم وامرأة، أغلقا الأبواب وغادرا السيارة دون أن يكلفا خاطرهما النظر الى السيارات المكتظة في الموقف، سيارة أخرى ارادت الدخول ،لم يتمكن سائقها فالسيارة الفارهة تغلق المعبر، انتظر قليلا ثم مشى. سيارة داخل الموقف جاء سائقها وآدار المحرك وقاد سيارته الى المعبر، لا أستطيع الخروج فالمعبر مغلق، نزل وذهب هنا وهناك يسأل عن صاحب السيارة الفارهة، عاد يائسا وجلس في سيارته ينتظر، جاء آخر أوقف سيارته وراء السيارة الأولى مباشرة، أطلق مزمار سيارته. ولا من يستجيب، نزل الاثنان والتقيا بين السيارتين.

ما الأمر قال الثاني ؟

- انظر سيارة تغلق المعبر.
- أف قالها بضجر وأضاف :

- ماذا نفعل ؟ أريد أن أذهب لزيارة مريض في المستشفى وموعد الزيارة محدود، أين ذهب صاحب السيارة؟ صمت قليلا ثم إستدرك :

- صحيح اللي استحوا ماتوا، حقا إنها قلة ذوق

- سيارة مرسيدس صفت وراءهما، نزل صاحبها يستطلع الأمر، قالا له : أنظر وأشارا الى المعبر.

- بطلت الناس تستحي، قالها بضجر وغضب وأخذ يقلب يديه، ما العمل زوجتي تنتظرني في الشارع ومعها أغراض كثيرة وأرتبط في موعد، أخرج هاتفه الخلوي واتصل برقم ١٩١ :

- سيدي نحن في موقف سيارات، سيارة تقف في المعبر، لا نستطيع إخراج سياراتنا.

لامه أحد الحاضرين: حرام عليك سيأتون ويخالفونه وأنت تعرف المخالفة تكلف الشيء الفلاني.

- هم أحرار وراءنا أشغال، رد بنزق.

حمدت الله لأن زوجتي لم تتصل بعد، وتمنيت أن تنتظر حتى ينجلي الموقف، أنا لاأرتبط بأي موعد ؛ أقرأ في كتاب وأستمتع فيه، لو بقيت كل الوقت ما شكوت، جاء الرجل الملتحي وزوجته، وقفا أمام سيارتهما، عرفا المكتوب من عنوانه.

- ماذا نفعل ؟ قالها بيأس وأثنت زوجته :

- أختي تنتظرنا على الغداء وتقول : وضعت الطعام على المائدة، قال له سائق المرسيدس : تكلمت مع الشرطة.

تذمر الرجل الملتحي :

- لو صبرت قليلا قد يأتي صاحب السيارة.

- يا أخي مضى نصف ساعة ولم يأت حضرته لكن نحن العرب لانعير الوقت أي اهتمام، في الغرب يحاسبون على الثانية، عقب الأول بكلمات مطها بكسل ويأس.

- يا أخي هذا في الغرب ونحن في الشرق، المهم ماذا نفعل والشرطة لم تأت بعد ؟

- سيأتون سيأتون كررها سائق المرسيدس بثقة وتصميم.

ندمت لأنني لم ألحق صاحب السيارة الفارهة قبل أن يذهب وأقول له :

- يا أخي أريد أن أخرج سيارتي، لو فعلت ذلك لما حصل هذا المأزق وظلت السيارات تدخل وتخرج بحرية ، ونفضت يدي بغضب ولآت حين مندم.

بين حين وحين ينظرون الى ساعاتهم، وبينما هم كذلك ظهر صاحب السيارة الفارهة، دخل الى سيارته ودخلت المرأة الى جانبه وساق سيارته وكأن شيئا لم يكن، لم يجرؤ أي منهم أن يقول له :

- لم فعلت ذلك ؟

أعذر الأول نفسه قائلا :

- قد يكون من ذوي السلطة وهؤلاء لا يقدر أحد أن يلومهم.

عام ٢٠٠٧م

نشرت في جريدة الرأي

خراب البيوت

تلكأت قبل أن أخطو الخطوة التالية، معروف عني أنني أمشي بسرعة، ماذا أفعل أنا أمشي ضد إرادتي، خطواتي القادمة تقودني الى المجهول، مثل أعمى يمشي خبط عشواء، قلبي يرقص هلعا ،عيناي زائغتان وأفكاري مضطربة تضرب أسداسا في أخماس، أول مرة أدخل هكذا أمكنة وأنا كبير، دخلتها وأنا صغير كنت أذهب مع أمي وجاراتها، لم أع ما فيها.

قرأت وسمعت الكثير عن هذه الأماكن، تكونت لدي قناعة بالرفض والإدانة، رددت كلمات: خرافة، احتيال، سرقة أموال وعقول الناس، أمي فلاحة لاتقرأ ولا تكتب، تأسرها الكلمة وتقتنع بسهولة وكذلك جاراتها وكثير غيرها في ذلك الزمان، نحن الآن في زمن التنوير والعلم والانترنت والهاتف النقال والسلاح النووي لاعذر لنا، غدا دخول هذه الأمكنة سبة وعاراً للحداثة والخلق والدين.

هل هو الفضول واكتشاف المجهول ؟ هل هو التعرف الى الشيء خير من الجهل فيه؟ أتابع خطواتي بعصبية. أمشي وأمشي وأمشي، أنا في اللا وعي، أحتار ماذا أفعل، أحتار كيف أمشي.

اصطدمت عيناي بعتمة خفيفة تقول لك: أنت في المكان الخطأ، مكان مليء

بالدهشة والغموض، وسوف تخرج وأنت أكثر دهشة وغموضا؛ ضوء خافت ثم نور ساطع، مادلالات هذا التدرج بالإضاءة، أصاحب هذا المكان فيلسوف أم نقل عن آخرين ؟ هل هو مجرد ديكور وطقوس توحي إليك أنك تتدرج بالمعرفة من القليل الذي تعرفه الى الكثير الذي ستعرفه ؟ هي مهنة وطريقة عيش تكسب أموالا كثيرة.

كان يرتدي جلبابا واسعا تفوح منه رائحة غريبة، أطلق لحيته على الأخير، يضع فوق رأسه عمامة بدائية لفها بطريقة معينة تجعلك تضحك وتستهجن، تطلق عليه صفات كثيرة: ساحر، مهرج، متدين، سافل، وقور وأرعن في آن.

مد يدا نبتت فيها مخالب قط، لم أرغب في مصافحته، هي سلمت بحرارة وود وابتسامة شحاذة، مقتنعة بما يفعل حد التخمة، تظن لا ليس تظن هي تؤكد على أن كل ما يقوله ويفعله صحيح، تصطك أسناني بغيظ ، أردد لنفسي : قليلة عقل.

اعتراضاتي تساقطت أمام إصرارها، لاأريد أن أدخل معها في جدال، هي أختي مريضة وعزيزة علي، أخاف عليها ولا أرغب في زيادة غضبها.

تكلمت باختصار، نفسها مقطوع وتلهث، ألقت إليه حملها الثقيل آملة، بل مقتنعة أنه قادر على ان يخفف عنها. كم دخلت الى عيادات وشكت الى أطباء ذوي أختصاص، هاهي تعود لترمي كل ذلك وراء ظهرها، لم يدخلوا ضمن قناعتها.

أشعل البخور، امتلأت الحجرة المليئة بأثاث مزدحم، مطروق وغير نظيف، تدخل الى أنفك رائحة خليط تمتزج فيها رائحة البخور المشتعل ورائحة الأثاث العتيق ورائحة الهواء المضغوط. أزداد اشمزازا واتهاما لأختي بالتفاهة وقلة العقل. أضمرت له العداوة وتمنيت لو تتاح لي الفرصة لألطمه وألقي ببخوره وأدواته المزيفة من النافذة، وددت أن

أصرخ في وجهه وأقذ فه بأبشع ما في القاموس من كلمات : دجال، سافل، خراب بيوت، لكن ماذا أفعل انها مجرد أماني تتلاعب فيها الريح وتضيع في متاهات الغرف الضيقة والروائح النتنة.

من رفيقك ؟

فاجأنا بصوت خافت أقرب الى الهمس وبث الينا الرائحة الغريبة.

انه أخي، أجابت وقد تهللت أساريرها.

أهلا وسهلا، قالها وهو يعبث بسبحة غليظة أظنها من ضمن الطقوس.

افتح ودعك، أطلقتها بروح متعبة مهزومة ، صمت ثقيل وبارد ألقى بظله على المكان، أراقب حركاته بحذر وقلق، نظر اليها بتحد وثقة :

- زوجك فرجه عاطل، أطلقها بوجهها مثل قذيفة انطلقت بعشوائية وظلت طريقها في تحديد الهدف، صمت ثم : هاهو المني يسيل من أطراف الكأس، رفعه بين يديه بحركة تمثيلية، لم نر شيئا، أدرك ما يدور في رأسينا، سارع الينا بعجالة ترمي اليك بثقة كبيرة.

- طبعا أنتم لا تشاهدونه، أنا أشاهده فقط، أعاد الكأس الى مكانه.

ارتسمت فوق جبهته العريضة تقطيبة وتجهم يرافقهما صمت ضروري بعد هذا الانفعال والغضب المصطنعين ورمى الينا بنظراته النارية مستقرئا ما يدور في خلدينا، وحتى لاتضيع الفرصة أو يظهر بعض الاعتراض أضاف : مزاجه معتكر باستمرار، يميل الى الخصام والعنف، أليس كذلك ؟.

لم يبق حجة لمحتج، أقف على الحياد، تزداد اعتراضاتي تساقطا واحدة اثر الأخرى (اتراجيدية) رخيصة خيمت على الموقف، انتفض واقفا، مد يده بعصبية يشير الى الفراغ، حدث هذا للحظة ثم غطى عينيه بيدين مرتجفتين، ممثل بارع يتقن دوره كأحسن ما يكون.

- أنا لاأطيقه ياشيخ لكنه زوجي شئت أم أبيت.

تقلقلت كلمة شيخ على لساني وكدت أصرخ في وجهها : اتق الله يا أختي أتطليقين على هذا الأفاق لقب شيخ، أظنه الغزالي وإلا الحسن البصري.

انهمرت دموعها بغزارة وصارت تهتز كورقة في مهب الريح، حائرة لاتدري ماذا تفعل.

- والحل ياشيخ أعادتها بيأس واستفزاز وبرغبة من سقط في بركة ويطلب النجدة، وازدادت كلمة الشيخ نخسا في جسدي.

- الحل بيدك.

- كيف ؟

- احضري لي مني رجل آخر، أعمل لك حجابا أغطه بمني الرجل الآخر ليطرد المني الأول.

اتسعت حدقتا عينيها جحوظا وقبضت يدي بعصبية.

- ماذا!؟

- أظنك سمعت جيدا.

أخذت تضرب وجهها بانفعال شديد، منعتها وطلبت منها أن تهدأ.

ليس مطلوبا منه أن ينفعل با نفعال الآخرين ولا يغضب لغضبهم، أعصابه في ثلاجة، يؤدي مهمة تدرب عليها زمنا طويلا، أتقنها بحيث لايطالها العبث أو الخلل من قريب أو بعيد وحتى لاتضيع الفرصة ولا يجعل مجالا للتردد وهو يريد أن ينتهي بسرعة، هناك آخرون ينتظرون الدور.

- كم تريد ياشيخ ؟.

- خمسة عشر دينارا وتحضرين عشرة دنانير ثمن الحجاب.

تعودت هضم كلمة شيخ كما تتعود هضم الهامبرجر، هو يعرف أن سلعته غالية، من يأت الى هنا يدفع بسخاء، ارتفع هدير البركان الذي يغلي في داخلي، يوشك على الانفجار، بيد مذعورة مدت يدها الى كيس النقود، مددت يدي بصورة لا إرادية أحاول منعها اضطررت لإرجاعها أمام عينين مذعورتين، مليئتين بالدموع والقهر والإحباط وأوجاع الفرج العاطل.

تركنا وذهب وسقطت آخر احتجاجاتي عند عتبة الباب.

عام ٢٠٠٧م

لم تمنحني الأيام فرصة اعتذار

شاخ الجسم وشاخت الذاكرة، مر الزمن سريعا وصار العمر الى ارتكاس، بدأت خطواتي تضطرب ،كم من أحداث مرت بنا ونحن نتقلب بينها ؛ تشوينا تارة وتفرحنا تارة أخرى، وبين هذه وتلك يضيع العمر، قد تنسى بعض الأحداث وأحداث أخرى تحفر في الذاكرة والروح والجسد، تحدث ندوبا وتشوهات وتصير جرحا لايندمل.

عشرون عاما، أنام وأصحو وأصحو وأنام، أقرأ وأكتب وألقي دروسي على تلاميذي، أذهب هنا وأذهب هناك وأنت معي ترافقيني في حلي وتر حالي، في صحوتي وفي منامي، أنت جزء مني، عضو من أعضائي مثل عيني مثل يدي، هل أقدر على الانفكاك من أعضائي ؟

أتذكرين ؟ تقولين لصديقتك عفاف : يعرب الجريدة ويكتشف الخطأ في أي موقع كان، وتقولين لي : هنيئا لك بهذه المعرفة، أقرأ في لمعان عينيك واشراقة وجهك كل الإعجاب وأشعر بالزهو والسعادة، تراقبيني بكل وعيك وإدراكك وأنا أقول للأستاذ الجامعي : لقد أخطأت في كتابة هذه الكلمة، يجب أن تكتب بألف قائمة، وأزداد إعجابا بنفسي وبك، ومشاعري لا تكذب أبدا.

في الليل عندما نغادر القاعة تخافين وتقولين: طريقنا واحدة أتسمح لي

بمرافقتك؟ وأفرح مثل طفل قدمت له أمه لعبة بعد طول انتظار، نمشي معاً بين العتمة والنور ونعبر من شارع الى شارع، أخاف عليك من السيارات المتهورة وأحميك بجسدي وأمد يدي للسيارة كي تقف أو تتمهل قليلا ريثما نقطع الشارع.

كنت أتمنى أن يطول الليل وأن يطول الطريق، لا بل كنت أتمنى أن يقف الزمن وأن نبقى هكذا نقطع الطرقات ويخبئنا الليل عن العيون المتلصصة.

ويأبى الزمان ويأبى المكان ويأبى الفرح أن يمتد ويمتد ويصير حلما ويصير أمنية؛ تطل غيمة سوداء تلغي المكان وتلغي الزمان ويصير الحلم كابوسا والأمنية مستحيلة.

أركب مع صاحبي في سيارته الخاصة التي وقفت بجانبنا وأتركك وحيدة نهبا لليل والخوف والعتمة، ماذا جرى أقول لنفسي. لماذا ؟ لماذا تلجئين إلي خوفا من الليل والطريق وأخذلك ؟ !.

أدعي أنني أحبك وأخاف عليك وأتمنى أن نظل معا وبلحظة لاأدري كيف جاءت، كيف صيغت أتخلى عن كل شيء ويظهر كذبي وادعائي في حبك واضحا لاخلسة فيه ولا مواربة، آه لو تعلمين ما زلت أعيش في كنف هذه اللحظة، تفرض علي ضلها السقيم با استمرار، يوما بيوم يكبر إحساسي بهده الغلطة، تعكر علي صفوي وتقف لي في طريقي كالشوكة في الحلق.

في الليل تحدقين في بغضب وتلومينني لوما عنيفا، وتزيحين بوجهك عني : ألطم وجهي وأردد كلمات أفهمها ولا أفهمها، كم أنا غبي، كيف تركتها لوحشة الطريق وذئاب

الليل، لماذا لم أطلب منها أن تركب معي في سيارة صاحبي وطريقنا واحدة ؟ لم أنم تلك الليلة، شكوت الى صديقي سوء فعلتي فوبخني مما زاد في عظم ذنبي وبكيت، وصل بي الانفعال والندم حد البكاء.

حاولت أن أعتذر لكني لم أقدر، عقلي الغليظ أوحى إلي بأن اعتذاري يزيد الأمر سوءا، وأنت هل تغفرين؟ وألتزم الصمت، صمت أبله موجع .

في اليوم التالي أبتعد عنك، أخاف من نظراتك وأحترق بندمي؛ غبت عن المحاضرة، أول مرة أغيب عن محاضرة، أتعثر بخطواتي، صرت مثل جندي يمشي في حقل ألغام، أتحاشى عينيك وأخاف منهما، ما ان أدخل القاعة حتى تواجهني نظرات غاضبة مؤنبة، أين أذهب من نظراتك؟! ألقي على السرير جسدا منهكا قطع ألاف الأميال في ليل موحش تكثر فيه الذئاب والضباع؛ هذا الليل الذي كنت أحبه وأتمنى أن يمتد ويستمر صرت أكرهه وأخاف منه، غدا ظلاما دامسا يظلم فيه عقلي وقلبي ويذكرني بسوء فعلتي.

وفي يوم خرجت من بيتي متأخرا وأوشكت المحاضرة أن تفوتني، لا أملك أجرة سيارة مكتب وعلي أن انتظر الحافلة والحافلة لاتأتي، لقد كثر غيابي ونبهني الأستاذ الى ذلك، وقفت بجانبي سيارة مكتب، خرج منها صوت نسائي : تفضل يا أستاذ، شكرت الله على هذه الصدفة، أرتبك وأتلجلج، ألتزم الصمت وأغرق في خجلي . صرت كالذي يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ،أتبادلينني واحدة بواحدة ؟ تفضل يا أستاذ، أنت خذلتني، تركتني في قارعة الطريق نهبا للذاهب والآيب، التجأت إليك وتوسمت فيك

الشهامة وها أنا يعز علي أن أفعل فعلك وبخاصة أن المحاضرة أوشكت أن تبدأ.

أتساءل للمرة الألف لماذا فعلت تلك الفعلة ؟ هل غرت عليك من صاحبي ؟ هذا كذب وادعاء، هل هي العادات والتقاليد وأخلاق القرية ؟ وهل أخلاق القرية تسمح لي بأن أتخلى عن فتاة استنجدت بي في موهن من الليل، لا لا اذن هو عقلي الغليظ الذي يوقعني في مطبات وما أكثرها، لكن كل المطبات تهون أمام هذا المطب.

مددت يدي مدعيا انني سأدفع أجرة السيارة، وحتى يتم المشهد الكوميدي وتكمل المسرحية تقولين بصوتك الناعس الذي أحبه : واصل يا أستاذ ،تمشي الى القاعة معا ولا أدري ان كانت لاحظت اضطراب خطواتي وارتباكي، وفرض علينا الصمت ظله الثقيل، أنا الذي أحب الثرثرة وأتكلم بالفاضي والمليان صرت أخرسا لاأقدر على الكلام، وهل كل كلام الدنيا يقدر على محو مافعلت ؟ طبعا لا.

تنتظرين مني أن أقول شيئا أي شيء، أن أشير من قريب أو بعيد الى ما فعلت وأنت تعلمين أن هذا الصمت ليس من عادتي، هل تقبلين عذري ان أبديته ؟ لكن أي عذر ؟ انه عذر أقبح من ذنب. شعرت باليأس لذلك سألتني عن موعد الحاضرة، قلت باقتضاب: مازال هناك بقية من وقت وكأنك تمنحينني الفرصة لأتكلم، لأقول أي شيء، وكأنك تقولين لي ان أردت أن تتكلم فأنا أستمع.

تكسرين الصمت ثانية: كيف أنت والدراسة ؟ وكأنك أنت التي ارتكبت الخطأ وتريدين أن تعتذري الي، انقلبت الموازين أليس كذلك ؟ لاغرابة في ذلك فهذا زمن الشقلبة وانقلاب الموازين، ولا تيأسين. تحاولين مرة أخرى، صار مثلك مثل من يريد

أن يعيد الحياة الى جثة أو مثل من ينفخ في قربة مخرومة.

- ماذا ستفعل بعد المحاضرة ؟

- لاشيء، ولم أزد

وتحتارين لماذا لا أمنحك الفرصة ؟ مجرد حديث يدور بيننا، حتى هذه لاتقدر عليها، لماذا قلبت جلدك ؟.

في المحاضرة تجلسين الى جانبي، تخنقني نظراتك، أفتح قميصي من أعلى فأنا أختنق، قميصي يخنقني، حديث الأستاذ يخنقني، المحاضرة كابوس يكتم أنفاسي.

يمتد الزمن ويمتد وأذهب الى المدرسة التي تعملين فيها : أحمل كتابي الأول لأهديه إليك، سألت عن المديرة بحجة البيع، لم أجرؤ بالسؤال عنك، مازالت أخلاق القرية تحاصرني، عيناي تفحصان المكان، تتقبان الجدران، أتلصص على المعلمات، لم تكوني بينهن، وتشاء الظروف أن تغيبي ذلك اليوم.

ويجتمع علي القدر والأيام؛ جئت أعتذر إليك بكتابي، لقد تحدثت فيه عن تلك الواقعة وأطلب الاعتذار.

خرجت من المدرسة خائبا أجرجر خطواتي وتأبى الأيام أن تمنحني فرصة اعتذار

حزيران عام ٢٠٠٥م

نشرت في الرأي والدستور

المقامة الكتابية

عقلي الزور، عقلي الغليظ يأبى على القود والطوع، نافر أشد النفور، إذا نزلت واديا يصعد جبلا، إذا ما خالفته يثور ثورانا ويهيج هياجانا، إذا ما أبديت ولو قليلا من المعارضة يهتبلها فرصة ليكيل لي كل ما في قاموس اللغة من سباب وشتائم يقولها في وجهي غير هياب ولا وجل، لايعرف المجاملة ولا الخجل.

حمدت الله لأنه لايعرف غير العربية والا استعدى علي كل اللغات وأوجعني حزنا وألما، فأنا واياه في عداء وخصام مستمرين، يعد لي كل ما يستطيع وما تصل إليه يده ليقهرني وينغص علي عيشتي.

كم أوقعني في مطبات أنا في غنى عنها، كم أدخلني في متاهات لاأخرج منها إلا بجراح، يفضحني ولا يستر لي عيبا، كم سبب لي من ويلات أسترها أحيانا وأحيانا لا ينفع معها الستر ولو لبست طاقية الإخفاء.

قلت له اليوم ونحن نسير الى تلك المدرسة النائية التي تقع في ذاك المنحدر العميق والتي علي حتى أصل اليها أن أصعد ذاك الجبل ثم أنزل المنحدر ثانية، مسافة طويلة تقطع أباط الابل : دعك من هذه المدرسة.

لم يستمع الى شكاة حذائي المسكين الذي أخذ يئن أنينا يقطع الأكباد لكثرة

ارتطامه بأرضية الاسفلت الصلبة ولا الى احتجاج ركبتي اللتين بدأتا بالانفصال عني والتمرد والوقوف الى جانب المعارضة ولا الى جبهتي العريضة التي عليها أن تتحمل صابرة مضطرة ضربات الشمس القاسية ولا الى عرقي الذي ينز بغزارة من جسدي ولا الى معدتي الجائعة العطشى.

ضرب بكل ذلك عرض الحائط وأمرني بمتابعة المسير على الرغم من الأمل في بيع هذه المدرسة ولو نسخة من كتابي الذي يثقل كاهلي وأنا أسير به متعبا من مدرسة الى مدرسة ومن مؤسسة الى مؤسسة، أعرضه هنا وأعرضه هناك والقليل القليل من يشتري أو حتى يواسيني بكلمة طيبة، لكن ماذا أفعل وأنا لا أملك في بلدي هذا غير هذه الوسيلة البدائية لبيع كتبي ليقرأها الناس ؟ !.

ما أشبهني بهذا العمل ببائع متجول، لا لا وألف لا البائع المتجول أكثر كرامة مني وأكثر ربحا وفائدة، والناس في بلدي يحتاجون الى كل البضائع إلا الكتاب فلا حاجة لهم إليه وليسوا مستعدين لدفع النزر اليسير لمشتراه.

لايسعني من جهة ثانية إلا مطاوعته منصاعا لأمره، فهو القائد وعلي الطاعة، الطريق طويلة والمناظر جميلة حيث تستمتع برؤية الجبل الشاهق والوديان المنخفضة تغص با لأشجار الخضراء والصخور الملساء والطرق المتعرجة تستقيم هنا وتلتوي هناك.

لكن أنى للجسد المنهك والنفس البائسة با لاستمتاع بهذا الذي أتحدث عنه.

قلت في سري: ما علي إلا أن أحاوره، وبخاصة أننا في عصر الحوارات لعل الحوار

يأتي بفائدة وأكون بذلك قد أعذرت نفسي المحتجة بهذه المحاولة.

قلت له معاتبا ومستذكرا ما كنا قد ناقشناه سابقا بخصوص الأدب والتأليف والكتابة وطباعة الكتب ونشرها حيث ذكرته بما قلناه : ان بضاعة الأدب رخيصة بل لاتساوي شروى نقير وأن الكاتب أكثر الناس فقرا وأقلهم كرامة وأهونهم على الناس وهو مثله مثل المعلم والفلاح، لايلتفت إليهما أحد مع أن بضاعتهما من أجود البضائع وأغلاها ثمنا. دعك من هذه البضاعة الكاسدة واختر غيرها.

أمنيتني الأماني ورفعتني الى سابع سماء، رحت تهون علي وتزيل عني اليأس والإحباط بطريقة ملتوية كأنك ساحر أبطلت في كل الإرادة والممانعة، ما أنا إلا بشر ضعيف تغريه الأماني وتستهويه المطامع.

انصعت لك ووافقتك وأربكت نفسي وأوقعتني تحت طائلة الديون وبدأ صاحب المطبعة يهددني بشيكاته مقابل طباعة كتابي هذا موضوع الحديث.

انقطع الحوار ووصلنا الى تلك المدرسة الغاية والمقصد وكان ما كان وحدث ما توقعته، مدير المدرسة لم يكلف خاطره حتى بقراءة العنوان، اعتذر عن شراء ولو نسخة واحدة تقديرا لتلك الخطى التي أغذذتها إليه ولذلك الأمل الذي ساورتني به نفسي والى تلك الأخوة التي تجمعنا حيث أننا أبناء مهنة واحدة وأصحاب الكلمة التي يجب أن نقدرها ونحترمها.

بينت لمدير المدرسة أنني قطعت إليه آباط الابل حتى وصلت إليه متوسما فيه الخير ومتأملا أن يجود علينا بمال الخيرين، ما أشبهني ببائع العلكة يعرضها في أحد

مجمعات السيارات.

استخرت الله ورجعت وأنا أحوقل وأتصبّر، أجرجر أذيال الخيبة، وتمثلت قول الشاعر:

وكنت لو ناديت أسمعت حيا ولكن لا حياه لمن تنادي

وفي طريق العودة رحت أكيل التهم الى عقلي وأقذفه بأقسى الكلمات ،ساعدني في ذلك وأيدني فيما أقول حذائي المسكين وجبهتي الحزينة وأنفاسي المتقطعة وركبي المترجرجة.

مع ذلك وبالرغم مما حدث كنت في واد وكان هو في واد آخر، علط وبلط وعاند وكابر وراح يتهمني بالخور والكسل والانهزامية وعدم القدرة على المجابهة وكأنني أنا المذنب لا هو وأوجعني توبيخا بسبب ذلك اليأس والإحباط، وقف خطيبا فوق صخرة صماء ملساء وأخذ يقول :

إذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجسام

ثم قال :

وأحظى بذي الصبر أن يحظى بحاجته ومدمن القرع للأبواب ان يلجا

ثم :

لاتيأسن وان طالت مطالبة إذا استعنت بصبر أن لاترى فرجا

لم يسعني إلا أن أقف عند قوله مفكرا ومعتبرا حتى بدأت أقتنع بفكرته وأتهم نفسي بضعف العزيمة وقلة الحيلة وأنني كثير التضجر والشكوى بسبب وبدون سبب

أسقط في أول امتحان وأقع في أول حفرة وأنهار عند أول صدمة.

تحققت من صدق قوله وحمدت فيه غلاظته ووعدته ألا أعود الى مخالفته ومشاكسته، سأرتفع الى مستوى الحدث بكل جدارة واقتدار على الرغم من أنني عدت من الغنيمة بالإياب ورجعت بدون خفي حنين.

١٩٩٩/٢/٣م

النقل

--- أتريد أن تنتقل ؟

--- نعم.

--- اذهب الى الموظف خالد في الغرفة المجاورة.

خالد ممتلئ الجسم، متوسط الطول، أسمر الجبهة، يجلس وراء مكتب خال من الأ وراق تراكم فوقه الغبار، كان يتأهب للمغادرة، لايطيق الجلوس وراء المكتب كثيرا، وهو بذات الوقت قادر على تصريف الأعمال بدون مكتب وهو واقف، وهو ماش وما عليه إلا أن يتكلم ويشير الى موظف ليقوم ببقية الاجراءت.

أمسح العرق بمنديل ورقي، الحرارة مرتفعة والناس يلهثون ويجففون عرقهم با استمرار : صوبت اليه نظرة متحدية، لم يعد لي ما أخسره ولم يأبه لذلك كثيرا، اعتذر بأنه مشغول وغير قادر على أن يبت في الآمر الآن، سارع الى القول :

- لنؤجل ذلك الى الغد.
- كم مرة علينا أن نؤجل ؟.

تملكني غضب شديد، علا صوتي بالاحتجاج، لم يعد يهمني غضبه أو أي رد فعل يقوم به. بادلني غضبا بغضب وعلو صوت بعلو صوت.

- قلت نؤجل وكفى، لاتحاول أكثر.

كان يمشي بسرعة ورحت أجاري سرعته وأجر ورائي كوكبة من المراجعين، لاتحل الأمور هنا بسهولة، أشعر بالذل وقلة الحيلة، ارتفع صوتي حد الصراخ :

- اتق الله يارجل أسبوع وأنا أقف ببابكم مثل السائل الذليل.

استغرب هذا الفعل مني، توقف نظر الى الوراء، صعد نظره في هذا الذي يكلمه بهذه اللهجة، لم يتعود على مثل ذلك من قبل، لم يخلق بعد الذي يخدش سلطا نه ويقلل من هيبته، توقف الركب من حوله، لزموا جميعا الصمت، شعر بأن الموقف سينفجر.

- من أنت حتى تكلمني بهذه اللهجة.

- أنا من خلق الله الذين ابتلاهم الله بمسئول مثلك. لم أعد أحتمل لم أعد أخاف من تهديداتكم، لتفعل ما تشاء.

خرج عن وقاره المصطنع، انه الآن في موقف حرج، قللت من كبريائه مما يغري الآخرين بالتمرد، ومطلوب منه الآن أن يتصرف تصرفا يرد له اعتباره ويعيد إليه كرامته التي أهينت على يد موظف في ادني السلم وغريب وهذا ما أعطى المسألة بعدا آخر. وضعته في مكان ضيق لايتسع لأكثر مما فيه.

- اسمع لانقل لك وستجازى على تصرفك بهذه الطريقة السيئة.

- لم يعد مكان لمتسع، لقد بلغ السيل الزبى، ضحكت بسخرية، أتعرف ماهو أفضل

جزاء.

- لاجواب.

- أن أعود الى بلدي.

- وما يمنعك أن تعود الى بلدك ؟.

- قلة النقود، صرفت ما أحضرت من نقود، مضى علي ثلاثة شهور ولم أقبض راتبي بعد، أتوجد دولة في الدنيا تعطي رواتب موظفيها كل ثلاثة أشهر بل كل نصف سنة مرة ؟ !

غاب في الزحام ولم يعد صوتي يصل إليه.

الناس في هذه الدائرة يتدافعون بالمناكب ويتزاحمون ذهوبا وايابا، يحملون أوراقا تبللت بالعرق، تقرؤ في وجوههم العتمة والحيرة والارتباك.

طلبت مديرة مدرسة ملف مدرستها، قالت للموظف:

- أشتهي ملف مدرستي.

أطال اليها النظر ولزم الصمت مطلقا العنان لخياله في هذه التي تقف أمامه وتشتهي ملف مدرستها، هذا طلب شرعي لاغموض فيه ولا التواء لكن الغموض والالتواء في الإجراءات، فالحصول عليه دونه مطالب أخرى، فرك الإبهام في بقية الأصابع. لم تع ولم تدرك، لكزتها رفيقتها فقد وعت وأدركت، همست اليها : يريد (بيزات) نقودا. فطنت، وسارعت الى نفض يديها ردا على حركة الإبهام، أشار هو الى رفيقتها وقال :

- خذي من رفيقتك، ضحكت رفيقتها وقلبت شفتيه، وقلب هو بدوره شفتيها وقال متجهما:

- أنا لا أملك ملفات.

انتهى الحوار وانتهى طلب الملف وغادرنا الحجرة غاضبتين، الكل يطلب رشوة، الكل يطلب ثمن القات وعلى المواطن أن يدفع أو يرضى بعدم تلبية طلبه.

دخل معلم مدرسة، سأ له عن راتبه، فتح أوراقا مطوية ونظر في الأسماء.

- أنت معين على حساب مدرسة.٠٠٠٠٠٠

- رد المعلم باستغراب: لا أنا أداوم منذ بداية العام في مدرسة.٠٠٠٠٠٠٠

لم يعلق، طوى الأوراق ثانية وقال : لاأعرف.

فطن المعلم، خرج بسرعة ثم عاد يحمل ضمة من القات، وقال بحيوية :

- هذا القات حقك، فتح الأوراق المطوية، وقع أمام اسمه. استلم راتبه وخرج. دخل معلم آخر، سأل ذات السؤال الذي سأله المعلم الأول فقال له:

- أذهب الى رئيس بعثتكم، وذهب، قال له رئيس البعثة :

- ادفع ما ئة وعشرين ريالا، مد يده الى حقيبته الجلدية وناوله ما طلب، سلمهم بدوره الى المحاسب واستلم راتبه وخرج.

كان علي أن أصعد الدرج وكان على أن أتمهل حتى لاأصطدم بالآخرين، فالصاعدون كثيرون وكذلك النازلون. كنت في منتهى الإعياء والإحباط وقلة الحيلة وصرت مثل فأر في مصيدة.

- السلام عليكم، كان يتكلم مع أخرى.
- وعليكم السلام، قالها وهو يتحدث الى الأخرى، لامكان للجلوس، رن الهاتف، رد عليه.
- نعم، ماذا تريد ؟
- أريد أن أنتقل.
- وما دخلي بالموضوع ؟
- أنت الكل بالكل، هم يرفضون نقلي.
- اذهب إليهم وحل مشكلتك معهم.
- رئيس دائرة ولادخل لك، الى من يلجأ المراجعون في حال عدم تلبية طلباتهم ؟.
- أنت كثير كلام، لاوقت لدي.

خرجت أتعثر في خطواتي، أوبخ نفسي، ماذا فعلت ؟ كنت آمنا مطمئنا في سربي لايعتورني هم ولا أحتاج الى مثل هذه المواقف، وفطنت لماذا لاأفعل فعلهم ؟ حزمة القات تنقذ الموقف وتخلصني من هم أعاني منه منذ شهور، توقفت وأطلت التفكير، لكن هذه رشوة في وضح النهار، لا لا، لعن الله الراشي والمرتشي والرائش بينهما، ماذا أفعل بها وأنا معلم أعلم الأخلاق والدين وأحث تلاميذي على التمسك بأهداب الدين.

دفعت أجرة الفندق، حملت أغراضي مرددا: تلاميذي ينتظرونني، لقد غبت عنهم زمنا طويلا.

٢٠/٢/١٩٩١م

المقامة السهرية

هتفت بالليل صارخا، ياليل أدركني من الليل، فا لليل يوجعني، والمبتلى يشتد وجعه بالليل.

لا نامت أعين الجبناء، هذه الغادة الجميلة، هذه البنية الصغيرة تفترسني، تأخذ مني العقل والحكمة والرشد، تسلمني الى الليل من غير أن تحس بوجودي أو تشعر بشعوري، لا تأبه بي ولا تهتم بما أهتم، انه الظلم ياليل.

أظهرت لي شجونها، أظهرت لي عشقها وكشفت عن مكنون قلبها، قالت لي بصريح العبارة:

- ليس لي غيرك يصد عني الريح ويحميني من عواء الذئاب في موهن من الليل.
- قلت متحمسا ومنفعلا : أنا أخو سلمى، الملتجئ إلي لايخاف، والمحتمي بي بأمن، أنا دواس الظلمة الذي لايخاف، أنا الفارس المعتلي فوق صهوات الجياد في الليالي الشداد.

وفرحت بأن أعادت إلي زهوة الفروسية ووهج المغامرة التي كنا نخوضها عند فوران الشباب، ردتني الى الصبي المنهزم في عتمات الدروب وفي متاهات العشق للغزلان المنتشرة في في الدروب ووراء الأبواب الموصدة بألف قفل وقفل، أنا لاتوصد في وجهي

الأبواب، كنت أكسر الأقفال أقتحم الأبواب وحولي السهام مشرعة والحراب منتصبة.

مرت السنون تباعا، هذه تسلمني الى تلك وتلك تسلمني الى ما بعدها، ووقعت في فخ الأيام ،هذه تردني خائبا وتلك تصفعني على وجهي حتى سلمتني الى البياض وأخذت مني السواد ضاحكة مني تارة وعابسة تارات، سلمتني الى الوهن وخور العزيمة وقلة الحيلة واشتعل الرأس شيبا.

قديما قيل وما ز ال يقال : أكثر ما تكره المرأة في الرجل البياض وقلة المال أو الشيب والبخل.

لماذا اختارتني من دون غيري ؟ لماذا فضلت البياض على السواد والسواد أجمل، البياض بقايا اشتعال النار، لماذا رمتني بسهام عينيها ؛ شقت مني الصدر واستقرت في ثنايا القلب، لماذا صهرتني بمعسول الكلام والغنج والدلال ؟

كانت تصر على أنني الوحيد الذي مال إلي قلبها وأنا الذي ندرت نفسها لاقتحام الأهوال واختراق الحواجز للوصول إليه.

لست مغفلا، علمتنى الأيام واكتسبت التجارب، قلت لها : ابحثي عن غيري، ما أنا الاحثالة الأيام وبقايا الأحلام والقوة. أنا كالمتاع الساقط ولا يصلح العطار ما أفسد الدهر، همست الى نفسي . لن تضحك علي صبية في عمر ابنتي.

ردت بعنفوان وغنج ودلال أداب مني السحم وفتك في اللحم.

انت خلاصة التجربة. انت الامان والاطمئنان. الشباب سريعو الغضب قليلو التجربة ولا يميل السهم قلبي. هكذا قالت لي أمي قبل وفاتها. أوصتني أن التجئ

الى الحكمة والخبرة، الى العقل الراجح، قالت بالحرف :

- انه يغنيك ويحميك ويحسن إليك.

وعتبة؟ قلت لها بصوت أقل انفعالا، ماذا أفعل بها ؟ رافقتني في الأيام السود، أخذت منها شبابها وقوتها، سفحتهما من أجلي وأجل الأولاد.

أجابت بثقة واطمئنان: هي أم الأولاد وأمي، دعها لأولادها، أكون لها بنتا مطيعة.

- لا لا ونفضت يدي بنزق : هذا مخالف لنواميس الطبيعة.

- لماذا لانكسر نواميس الطبيعة ؟ هل هي فرض لازب، وهل أنا أول من تحب رجلا في مثل وقارك وتعقلك ؟

وضاع مني الكلام، غدوت غرا جاهلا ألبس ثوبا غير ثوبي، أرمي بوقاري وقناعاتي عرض الحائط، وعادت العينان الجريئتان والخد الأسيل والقامة السمهرية تغزوني بقوة لاتقاوم وبنفاذ لايرد وبسهام لاتصد، وأنا فلاح جاهل ليس لي في صولات النساء وجولاتهن علم أو معرفة .

شرد مني العقل وتاهت بصيرتي ووقعت في المحذور، حاصرتني ولم تعتقني، رضيت بالأمر الواقع ووقعت على وثيقة نهايتي.

ماهي الا أيام مرت كلمح البصر واذا بالحال غير الحال واذا بالخبرة طيش والعقل الحكيم صار عقلا خرفا : صارت الأصابع ترتجف والأرض تضطرب تحت قدمي، أتوه بين الداكرة والنسيان وتلبسني هوى مضطرب وقلب لجج.

انقلب الملاك الى شيطان والبنية الصغيرة تحولت الى نمرود وقهرمانة. وصرت

كالكرة تزجيها بين يديها كيف تشاء، زوجتي ماتت وتشرد الأولاد وأنا في غي سارد وبوهمي غارق لاأعرف يومي من أمسي ولا طمسي من خمسي ولا ليلي من نهاري، وحيدا منبوذا لاأهل ولا جيران، أسكب المال بين يديها بسخاء، تشتري أجمل الثياب وأغلى العطور، تذهب هنا وهناك تبحث عن إرواء شباب عطش، أنثى تطلب من يغتصب أنوثتها ولست بذلك الفارس المغوار، ما أنا إلا حطام وركام لم تترك مني الأيام إلا وهنا على وهن وعظما على وضم.

نزلت دموعه مدرارا واحترت ماذا أقول له، تركته ينوح ومشيت، قلت لنفسي :

- قاتل الله الهوى، وأنت أيها الإنسان لله درك ما أقدرك على الغطرسة والظلم والجبروت وأنت مجرد لحم على عظم، تنخسه الشوكة فتؤذيه وتلدغه البعوضة ولا يقدر على صدها.

لحق بي : كيف تركتني ومشيت ؟

رفعت يدي وقلت : الله يرحمك.

- أهذا كل ما لديك ؟

- ولاشيء غيره.

عام ١٩٩٩م

الثقب الصغير

ماأسرع ما تمر الأيام ! تتبع بعضها بعضا ونحن نضيع في تتابعها، تسرقنا الأحلام والرؤى والأفكار والعمل، ندور وندور مثل ترس في آلة ومثل دابة الساقية التي تدور منذ الصباح حتى المساء وتدور في اليوم التالي كما في اليوم الأول وهكذا، نحن ندور وننسى ثم ندور ونتذكر ثم ننسى، نفاجأ بأحداث تحزن تارة وتفرح تارة أخرى ونعود وننسى.

هل نسمي الأيام التي مرت مثل الخيال مثل فيلم سينمائي ؟

كانت تلقي على الأسئلة واستغرب وأقول لاأعرف، الشمس تشرق في الصباح وتغيب في المساء، القمر يرسل أنواره البهية فيضيء الليالي المعتمة وهكذا تسير الحياة. لماذا لم نفطن لمثل هذا من قبل أم نحن نفطن ولا نهتم ؟ تقول هي.

وأقول أنا : نفطن لماذا ؟

تنثر كلامها بانفعال، تحاول جهدها إقناع المتلقي، منذ خلق الله الأرض والشمس تفعل هكذا والقمر وسائر النجوم.

تحيرني أسئلتها وأغيب في الزحمة، تغيب الأسئلة بعض الوقت ثم تعود فتقول:

- ألا ترى أن هناك في الأفق شيئا يدبر لي، هكذا أحس وأنفي لايخطئ، يأخذني قولها من نفسي وأحزن ثم أعود وأتشجع.

- لم هذا التشاؤم ؟ ماهذا الإحساس الغريب ؟.

كانت تغسل باللفن وتغني باستمرار ؛ تحفظ أغاني فيروز وأم كلثوم ونجاة الصغيرة. أحيانا تطيل الصمت وتطيل التحديق بالأشياء، أحيانا أخرى تنفض يدها بنزق من غير سبب حقيقي ظاهر في الأفق وتهمس: لا لا هناك شيء في الأفق أراه وأحس به انه قريب.

أضحك من هكذا سخافات، واتهمها وأدعوها الى الثقة بالنفس والإيمان بالقضاء والقدر وعدم الوسوسة.

فرحت بالبنت الأولى ؛ تغني لها وتلاعبها، تشتري لها الألعاب من دكان التاجر حمدان. يقول عنها حمدان : امرأة غيرها من النساء، تميل الى الصمت والهدوء، تنزع عنها ملابسها، تضعها في الطشت وترود لها :

حمموها حمموها

بالمية السخنة حمموها

ترفعها بين يديها مثل لعبة بلاستيكية وتتلوى بين يديها بمرح :

رقصوها رقصوها

للشاب الحلو زوجوها

دندشوها دندشوها

بالخرز والذهب دندشوها

تلفها بالمنشفة، تلقمها ثديها وتضمها بحنان وتمهد لها السرير المصنوع من الخشب،

وتغازل دموع الفرح تنزل من عينين دعجاوين :

نامي ياحمامه

يانومة إلهنا والسلامة

ياعين رشا يدها تنام

ياعين رشا ياعين الحورية

بالليل بتنام وبالنهار محمية

ترنو اليها بقلق وحزن وتصمت، تحدث نفسها :

- هل أشهد عرسك يارشا ؟

وتكبح دموعا تقهر إرادتها وصبرها، زادت فرحتها بالمولود الثاني وصارت تعبر الأيام بفرح ، وبين آن وآن تقول :

- لست أدري لماذا أفكر بالموت دائما ؟

أفطن وأراوغ في الكلام محاولا محو السوداوية التي تنزع اليها بين وقت ووقت.

- مجرد أوهام، لابأس أن نفكر بالموت ولكن ......

تفطن، تسرع وتقول: ولكن ماذا ؟

أرتبك من انفعالها وسرعتها في الحديث، من أفكارها القلقة، هل هي الحاسة السادسة كما نقول في كلامنا ؟ أم هي أفكار لا وراءها ولا أمامها. أحاول طمأنتها كما أفعل كل مرة:

- لاشيء لاشيء، أنت تجسمين الأشياء فقط.

أغادر الى العمل تودعني بابتسامة عذبة وتدعو لي بالسلامة وطول العمر، لاتعرف العراك ولا الخصومة ولا يشغلها ما يشغل النساء كثيرا، تبتعد بفهم وإدراك عن إثارة المشاكل وعن كل ما يعكر الحياة الزوجية، أحببتها تلميذة وتزوجتها بعد أن حصلت على الوظيفة.

هاهي تناديني، أسمع صوتها بوضوح، ألتفت يمينا وألتفت شمالا وألعن درجات المستشفى التي تعيقني وتؤخرني عن الوصول اليها بسرعة، أرغب في أن أوصل الحليب اليها ساخنا لكن درجات المستشفى العديدة والملتوية تمنع تحقيق ذلك، أفاجأ بالطبيب يقف كالقدر المستعصي :

- ما هذا الذي تحمله ؟
- حليب يادكتور.
- الحليب ممنوع.

ترتفع وتيرة الغضب وأمتلئ خوفا.

- يوم أمس قلت لي الفواكه ممنوعة واليوم الحليب، هل تريدني أن أدخل اليها فارغا ؟
- أحضر لها وردة، نحن نتكفل بالباقي أم تظن أننا بخلاء ؟

أسأل بلهفة : أ هي بخير يادكتور ؟

ان شاء الله ويضيف بلهجة صارمة وصوت خارج من تمثال أصم : الزيارة ممنوعة الآن.

ينفلت عقال الصبر وأقبض على يده بعصبية :

- ماذا تقول يادكتور ؟

- خيرا ان شاء الله، زوجتك لا تستجيب للعلاج، أشعر بأنني محاصر وأحتار بالمواقف التي تتسلسل تدريجيا ولم أحسب لها حساب، تلبستني الوحدة واليأس والضياع وقلة الحيلة.

كانت تملؤ علي حياتي، أسمع صوتها :

- مالك زعلان دوس على الهم وامش، أرد عليها :

- وهذا الهم كيف أدوس عليه ؟.

جاءها هذا الذي لايسمى على سهوة، اقتحم جسمها مثل إخطبوط، أنشب أظافره الخبيثة في لحمها الطري وشرع يسرقها منا شيئا فشيئا، غياب ثم حضور ثم غياب أطول وحضور أقصر ثم لاأدري ماذا أقول، غدارة يادنيا غدارة، أكاد أجن ؛ كنا نعد الأيام بفرح ونخطط لبناء البيت وشراء السيارة.

- أريده بيتا صغيرا وسيارة لونها أزق كلون السماء، أحب هذا اللون، كنت وأنا صغيرة أستلقي على ظهري وأطيل التحديق في السماء، سنربي أولادنا على الأمانة والصدق وحب العمل، لماذا نضيع دائما في دوامة الأمل والعمل والزحمة من حولنا شديدة الكثافة.

وجهي كالنحاس تنقره فيرن، يداي يابستان تقبضان على الأشياء بضجر، غافلت من حولي ووضعت أذني على تقب الباب حيث يوضع المفتاح، لم أسمع، ونظرت من خلال

هذا الثقب، لم أر شيئا، يصفعني الصمت والهدوء والقلق والخوف على وجهي، ماذا

أفعل ؟ أبحث عما يخرجني من هذا الصمت الحقير، مثل طفل صغير يتلصص وراء

الأبواب، أرصد الأبواب لأري ماخلفها، الطبيب يقف لي كالمارد كحارس السجن يمنعني

من الاقتراب من الباب، لم أعد أهتم، طفل صغير رجل كبير، ساحت المعاني على بعضها

بعضنا واختلطت، لم أعد أميز بين الصح والخطأ، لم يبق لي إلا هذا الثقب الصغير،

حياتي كلها عالمي كله انحصر فيه، على بعد خطوات منه سرير ترقد عليه أعز الناس

أقربهم الى قلبي، كيف أصل اليها ؟ لماذا هربت مني بهذه السرعة ؟ هل أنا زوج سيء ؟

هل أحطم الباب ؟ ليكن ما يكون، أصرخ في وجهه :

- من أعطاك الحق لتمنعني من رؤيتها ؟

- - هدئ من روعك، ستراها نحن نعد العدة ونهيئ لك رؤيتها، ولكل حينه.

يرتجف الكرسي تحت جسد مهزوز وعقل مضطرب وأقبض على إبريق الحليب.

- أرجوك يادكتور لقد برد الحليب، هي تحبه ساخنا، لم يعد لدي غير هذا الطلب،

طبطب على ظهري برفق وفرت من عينه دمعة حاول منعها فلم يقدر ،فتح الباب

وقال بصوت حزين :

ان لله وانا إليه راجعون، كن هادئا واصبر ان الله مع الصابرين.

عام ٢٠٠٧م

يوميات

الاثنين :

أغلقت الباب بهدوء ورحت انتظر الوقت، الساعة تشير إلى الثامنة وخمس دقائق، ما زال الوقت مبكرا، حملت حقيبتي بعد أن أودعت فيها أربع نسخ من روايتي (مدارات) نزلت المنحدر وانحرفت إلى اليسار في الاتجاه المعاكس، أنا لا اعرف الكثير هنا، ولا ادري إلى أين تذهب الشوارع، ولا من أين تجيء. سالت احد المارة، شبك ذراعه في ذراعي، وقال ضاحكا : أنا عاطل عن العمل وأريد أجرة مقابل إرشادك إلى الطريق الصحيح، ضحكت وقلت : حاضر ياسيدي، رد والابتسامة لا تفارق وجهه الصبوح، كأنك لست من المنطقة، قلت بلى. أنا من اربد وأوضحت له سبب وجودي في صويلح، قال : شابهت ظروفك ظروفي أنا حسن المعايطة من الكرك اسكن مع أولادي الجامعين، وظل ذراعه في ذراعي إلى أن أشار إلى حافلة صويلح – عمان ودعني وشكرته ولكنه نسي أن يأخذ أجرته.

الثلاثاء :

قمت الليل وصليت الفجر، ومشيت ثلاثة كيلومترات ذهابا وايابا، كتبت مذكرتي اليومية ومارست الرياضة. ثم تسللت لواذا إلى المطبخ، زوجتي تقول لمعارفها، أتمنى

أن يتناول حبة (ريفنين) ولو لمرة واحدة، وبدأت اعد إفطاري، سلقت البيض والبطاطا وأحضرت البصل الأخضر والثوم والبندورة والخيار والبقدونس، والملح والفلفل وزيت الزيتون وخلطتهم خلطا جيدا، ثم أحضرت صحن اللبن وصحن الزيتون، وأكلت حتى شعرت بان لاحاجة لمزيد، ثم تناولت حبة تفاح وقرن موز وبعض حبات التوت، وشربت كوبا كبيرا من الماء، وانتظرت بعض الوقت ساعة تقريبا تناولت كوبا من الشاي وحمدت الله .

وكنت قد قرأت في زمن ما للكاتب المشهور اسكندر ديماس ما يلي : إقرأ كل يوم بعض الوقت واكتب خمس دقائق وامش ساعتين، ثم نم مبكرا واصح مبكرا، ومنذ ذلك الزمن وأنا افعل هذا الفعل حتى تراكم لدي من المذكرات اليومية والكتابات ما يحتاج إلى عربة يجرها حصان واحد وليس حصانين كما يقول عبد الستار ناصر .

الأربعاء :

ما لهذا الزعرور يأبى إلا أن يلاحقني بأنفاسه العطرة يرسلها إلي من خلال كتبه، فقد التقيت إبراهيم زعرور في معهد المعلمين، حواره حيث كنا طالبين عامي ٦٠، ٦١ من القرن الماضي، وكان أخي إبراهيم يمتلك طاقة كبيرة من الحركة والنشاط وحب العلم، قال في إحدى المرات لأحد معلمي المعهد : ليس من المستبعد أن تقوم في المستقبل حرب بين طرفين، ويقول الخبر : حدث تراشق بالقنابل الذرية، وكنا لتونا نسمع بالقنبلة الذرية وقدرتها التدميرية الهائلة بعد أن ألقيت على جزيرتي هيروشيما ونغازا كي

اليابانيتين. والتقيت إبراهيم بعد غياب طويل في جريدة الرأي وكان ظهره قد تقوس وتثاقلت حركاته، وبان عليه العمر واضحا .

وعندما كنت في اليمن قرأت مجموعته القصصية (آخر الطيور السوداء)، ثم قرأت متأخرا روايته (ذئب الماء الأبيض)، وها أنا اليوم ذكرتني به مجموعته القصصية (مكان ضيق شديد الضيق)، نشرت بدعم وزارة الثقافة، فيها بوضوح روح أخي الشفيفة الذي غابت عني أخباره، عافاه الله وأحسن ختامه ولله درك أيها الزمن ماذا فعلت بنا .

الخميس

عجبي. رجل مسلم يقف على عتبة الستين من العمر لا يتقن الصلاة بعد، في حين أن ابن ابني الصغير يتقنها ويعرف كيف يصلي مع الجماعة، وإذا ما تأخر ركعة أو أكثر عرف كيف يعالج هذا التأخير لقد صلى معنا اليوم ابن الستين، جاء متأخرا بعد الركعة الأولى، ولكنه سلم معنا، فقال له المصلون الذين لاحظوا ذلك : عليك أن تعيد الصلاة، فقال : لم ؟ قيل له : لأنك تأخرت ركعة وسلمت معنا، قال : لا اعرف هذا من قبل .

حزنت للرجل الستيني، ماذا عمل في هذه الستين سنة الماضية ؟ إذا لم يعرف كيف يصلي فماذا بقي ليعرفه ؟! أدعو الله أن يغفر له آملا أن يسترجع ويدرك قبل الرحيل الأخير.

الجمعه :

أسرعت في خطوي من المسجد إلى البيت، كتبت مذكرتي بسرعة، ومارست الرياضة

بسرعة، وأكلت بسرعة، واغتسلت بسرعة، وكويت قميصي وصليت الضحى بسرعة، وخطفت محفظتي بعد أن وضعت فيها بعض كتبي، ومشيت بخطى متلاحقة وسريعة إلى موقف الحافلات جاءت حافلة وأطلقت مزمارها داعية إياي إلى الركوب، وتجول السائق في القرية لعله يصطاد ركابا آخرين، فأنا الراكب الوحيد، واليوم يوم الجمعة تقل فيه الحركة ويركن الناس إلى النوم والراحة، التقط بعض الركاب، ونزلت أمام البنك المركزي في اربد، وتابعت سيري لكن ببطء شديد هذه المرة، تجاوزت ما تجب فيه السرعة، لم اعد أخاف من التأخير .

ووقفت أمام مقر رابطة الكتاب، وقد ارتسمت على شفتي ضحكة لا ادري هل هي ضحكة سخرية أم ضحكة سرور حيث أنجزت ما هو مطلوب مني بوقت قياسي، ولمت عقلي الغليظ الذي أوحى إلي بهذه السرعات غير الضرورية، وقلت له معاتبا تفضل يا صاحبي هاهم مازالوا نائمين، وأنت اذعرتني وأربكتني، وبينما كنا نشتبك في شجار وامشي ذهابا وإيابا أمام الرابطة النائمة، جاءت سيارة محمود عبيدات من أعضاء الهيئة الإدارية رد التحية، وقال، أظن أن المكان الذي أوقفت فيه السيارة يحتاج إلى تعديل، وقلت : نعم وأشرت بيدي : تقدم بعض الخطوات، وتناول المفتاح من محفظته وفتح الباب وجاء محمد الخطيب بجسمه الممتلئ وابتسامته الرشيقة وألقى التحية. دخلنا المقر وأطلقنا الأضواء عل الأخير، ما زالت عتمة الصباح تملؤ المكان، وتتابع الرفاق وجاءت الحافلة. وانطلقت بنا إلى عمان. فاليوم يوم انتخابات رابطة الكتاب الاردنين .

السبت :

أضعت قلمي الذي رافقني كل هذه السنين، لا أمل صحبته، ولا يمل هو، أصابه العجز والمرض وطول العمر كما يصيب الإنسان، لكنه عز عليه أن يفارقني أو يركن على الرف ليستريح. فجأة ومن غير مقدمات تركني وانسحب إلى ركن خفي لا ادري به، ولا يمكنني الوصول إليه أقمت الدنيا ولم أقعدها، وقلت متأسيا : لعله مل صحبتي وخجل أن يصرح لي بذلك، لعله مل من كتابتي التي لا تسمن ولا تغني من جوع ولم يرغب في إحراجي، ولذلك انسحب بسلام .

وامتدت الأيام وأنا ألح في البحث والتسئال حتى أدركني اليأس واضطررت إلى شراء قلم أخر أين منه صاحبي ذاك، فهذا ملول ضجر، لم يستجب لرغبتي في الكتابة، وقال لي بصريح العبارة أنا لا أحب أن أضيع وقتي في تفا هات وأعلنت عليه غضبي، وخاطبته بكل اللغات ولم اجن إلا التعب وحرق الأعصاب .

وأصابني الفرح عندما وجدت صاحبي القديم في درج مكتبي: نظرت إليه بشوق، وصحت به فرحا أين كنت يا صاحبي؟ هل حقا مللت صحبتي، أم ألم بك حادث اضطرك للاختفاء، أم هو عبث أحفادي، امتدت إليك أيديهم العابثة ورموك في مكان ما غير مهتمين وغير مدركين لعظمتك فأنت بنظرهم مجرد قلم لا رحت ولا جيت، ولكنك بنظري، قمة عالية، تستر العيوب، وتتصدى للعثرة فتقيلها، وللحزن فتحوله إلى سرور، وللبغض تحوله إلى حب، والى المعوج تأخذ بيده حتى يستقيم، ولله درك كم أنت عظيم.

الاحد :

ادوارد سعيد القامة السامقة العظيمة، المحارب الصلب والمثقف الواعي المستنير، غيبه الموت عنا بعد حياة مليئة بالعطاء والكفاح، يحق لنا أن نفخر به، ومطلوب منا أن نقرأ فكره الذي توزع في كتبه ومقالاته ومحاورته الكثيرة، عاش في الولايات المتحدة الأمريكية ودرس في جامعاتها، خبر المجتمع الأمريكي خبرة كبيرة، وعرف الكثير عن هذا المجتمع أفرادا ومؤسسات مما اكسبه الخبرة، وجعله قادرا على أن يحاور ويناقش الأمريكي واليهودي وغيرهما في حقوق الفلسطينيين المستلبة والمضيعة يجادل ويحاضر مجادلة ومحاضرة الواعي المستنير والواثق بنفسه، كان يكتب في صحفهم وبلغتهم الشيء الكثير عن القضية الفلسطينية التي كانت همه الأكبر .

قرأت كتابيه : الاستشراق، والثقافة والمقاومة، فأعجبت بهما أيما أعجاب، وتحققت مما قيل عنه، ومما كتبه الكاتبون وقاله القائلون، فهو أمة برجل، وهو جيش كامل، أتمنى لو كان لنا مثله العشرات، يعلمون علمه ويدرون درايته، ويعرفون كيف يحاورون الأعداء والأصدقاء، يملكون الحجة والبرهان والقدرة على الإقناع. كم نحتاج إلى ادوارد سعيد هذه الأيام رحمه اله وغفر له .

٢٨-٨-٢٠٠٩

نشرت في جريدة الرأي

بوح النساء

هناك القيم السامية التي تربينا عليها وتعلمناها وورثناها أباً عن جد، ومن غير هذه القيم تفسد الحياة ويفسد المجتمع، ويزداد الانحلال والتسيب والضياع، وهذا بدوره يؤدي الى التفكك الأسري وزيادة الجريمة وانتشار السرقة وكل الخبائث، وأخص بهذا الحديث المرأة فهي آس المجتمع والعمود الفقري في الأسرة، فإذا صلحت صلح المجتمع كله وسعد بذلك وربح بما فيه من زوج وأبناء وأقارب.

لكن ماذا نقول أمام اندحار القيم وتفشي الفساد وتسيب المرأة بألف حجة حتى بتنا نتساوى مع الآخر نقلده ونلحق به لو دخل جحر ضب لدخلنا وراءه وصار الذي لا يفعل ذلك يتهم بالتخلف والرجعية.

كم أتمنى أن نأخذ منهم ما ينفعنا ويزيد من ثقافتنا وتطورنا وحضارتنا ونترك ما لا يتناسب مع قيمنا وحياتنا التي لها خصوصية الاندماج مع الذات والدين والقيم السامية.

أسوق بعض النماذج من نسائنا، اتصلنا بهن وقابلناهن واستمعنا إليهن.

(١)

أم علي

- السلام عليكم.

- وعليكم السلام.

- نريد أن نكلم أم علي إذا سمحتم.

- ومن يطلبها؟

- أبو رائد من دائرة البحث الاجتماعي.

وترد أم علي.

- سعدت صباحاً يا أخي.

- سعدت صباحا يا أم علي، أنا أبو رائد من دائرة البحث الاجتماعي، سنلقي عليك بعض الأسئلة راجين الإجابة عليها بحرية وصراحة، لا غرض لنا إلا البحث والتقصي وسيظل ذلك سرا نحافظ عليه محافظتنا على شيء مقدس.

- تفضل.

- زاد الله من فضلكم، هل أبو علي موجود؟

- نعم.

- وماذا يعمل؟

موظف في دائرة الاتصالات.

- وأنت؟

- موظفة أيضاً.

- هل أنتما على وفاق؟

- أنت طلبت الصراحة ومن أجل الصراحة أقول لك، لا.

- ما السبب يا ترى؟

- كل منا له رأيه يتمسك به ولا يريد أن يتنازل عنه.

- لا مانع أن يكون لكل منكما رأيه، لكن المانع أن تتصادم الآراء وتتنافس.

- بصراحة هذا هو الواقع.

- لو تنازلت أنت مثلا أو تنازل هو أو تنازلتما أنتما الاثنان عن الآراء التي تثير الخلاف وتصل حد التصادم أليس ذلك أفضل؟

- بلى، ولكن المصيبة في عدم التنازل مما يؤدي إلى الشجار باستمرار. رمى علي في أحد الشجارات الطلاق، كل منا يريد الطلاق والانفصال، وجود الأولاد هو المشكلة.

- هو يدعي أنك لا تهتمين ببيتكم وأولادك، تتأخرين في عملك متعمدة وتتصرفين من غير رأيه، مبذرة لا تقيمين للقيم ولا للعادات أي اهتمام، تخرجين متى تشائين وتعودين كذلك، وتقولين له باستمرار ما المانع؟

- أه نعم وأقولها لك أيضا، لي شخصيتي وحريتي، أنا لا أؤمن بالأفكار الرجعية.

- لكن نحن في مجتمع عربي شرقي، المرأة فيه تطيع الزوج وتأتمر بأمره، لا تخرج من بيتها إلا بإذنه، لا تتصرف بأموال الأسرة إلا برأيه واتفاق الطرفين.

- يا أخي له امواله ولي أموالي.

- هل كونك موظفة ولك ما لك تتمردين على زوجك وأسرتك ومجتمعك؟

- أتعد ذلك تمردا؟

- وماذا تسمينه أنت؟

- هي الحرية الشخصية، نحن في مجتمع متحرر ومتطور.

- هل الحرية تقول لك أهملي بيتك وزوجك وأسرتك؟ وهل تقول لك أن الزوج لا قيمة له ولا وزن؟

- لكنه عنيد وعصبي المزاج.

- هل جربت أن تعامليه بلطف؟ لو تحاورينه بهدوء، لو تتنازلين قليلا، أليس ذلك أفضل؟ ألا يعني هذا استهتارا بكل القيم التي أرست دعائم المجتمع وجعلت منه مجتمعا متماسكا متحابا متعاونا، يعيش فيه الأولاد والزوج والزوجة في جو أسري سعيد؟!

- صمت.

- نشكرك يا أم علي على إجابتك الصريحة ونتمنى أن تراجعي نفسك لعلك تنقذين ما تهدم من بيتك أتمنى لك السعادة والتوفيق.

(٢)

حكاية من التاريخ

يقول أبو رائد: سمعت منه هذه الحكاية وتقدمت إليه معجبا.

من الذي أوحى إليك بهذه الحكاية؟

- أمي.

- حقا إن أمك حكيمة ومن المعروف أن النساء قليلا ما يتحدثن بمثل هذه القصص.

- ليس كل النساء، أمي تختلف.

ازددت إعجابا به وبحكمة أمه، قدمت إليه الشراب طامعا في حكاية جديدة ومذكرا إياه أن الليل ما زال في أوله.

- هل تعرف في التاريخ؟

- وفي الجغرافيا أيضاً.

كبرت ابتسامته وتبسط وجهه: لا تعجب من سؤالي، فالتاريخ حكاية والمؤرخ حكاء.

- لا بأس قلت له مستعجلا.

جلس على الأرض صالبا رجليه وحانيا ظهره كأنه عجوز في آخريات أيامه يحكي لأولاده حكاية قبل النوم.

أعاد علي السؤال، هل تعرف الخليفة هارون الرشيد؟

- ومن منا لم يسمع به، أليس هو القائل للغيمة: أمطري أينما شئت فإن خراجك سيأتينني.

ضحك وبدأ يروي حكايته:

استذكر الخليفة يوما رجال دولته الذين يساعدونه في تثبيت أركان الدولة وذكر من بينهم شيخ يعض الناس في المساجد تردد اسمه كثيرا في مجلس الخليفة فرغب الخليفة في مكافأته أمر الكاتب أن يرسل إليه ليحضر إلى مجلسه.

تعجب الشيخ من دعوة الخليفة له، فهو في حاله ومشغول بعلمه يعض به الناس، أسلم

قيادته إلى الله تعالى وانقطع إلى العلم والفقه ولا رغبة له بغير ذلك.

لبى دعوة الخليفة ودخل إلى مجلسه آمنا مطمئنا تسبقه هيبته ويحيط به وقاره،

لم تأخذه هيبة الحاكم ولا رهبة المكان من نفسه كما تأخذ غيره، لقد عمر الإيمان

قلبه وامتلأت حواسه باليقين حد الإفاضة وعرف مضمون حديث الرسول (صلى الله

عليه وسلم): ما أصابك لم يكن ليخطئك إلا بشيء قدره الله لك وما أخطاك لم يكن

ليصيبك إلا بشيء قدره الله عليك أو كما قال (صلعم).

أيقن أن الذي يقابله بشر متل كل البشر، لا يختلف عنهم إلا أن إرادة الله تعالى وضعته

في هذا المكان ليدبر الدولة ويقوم بأمور الرعية.

رحب به الخليفة وبش له ودعاه إلى الجلوس بجانبه، راح الشيخ يمسح المكان وما يحيط

به من أبهة وعظمة بنظرات متأنية وبلا اهتمام.

قال له الخليفة: سمعنا عنك ما دعانا للتعرف عليك ومكافأتك على ما أعطيت، رد عليه

الشيخ:

- ما أنا إلا عبد فقير من عباد الله آتاني الله علما فأحببت أن أعطيه للناس لا فضل لي

ولا منة وهو حق فرضه الله علي وأمرني به.

تأمل الشيخ الخليفة وأطال التأمل مستقرئاً العز الذي هو فيه، راح يفكر في هذه الدنيا

الفانية والتي نهايتها الموت مهما علت منزلته ومهما امتد به العمر ومهما حصل من

متع جمع المال والعز والجاه، فهذه جميعا لا تساوي عند الله تعالى شيئاً، اصطدمت

نظراته بنظرات الخليفة التي تستعجله الجواب.

لذلك سارع إلى الرد مستدركا هذا الإبطاء وإن كان الخليفة لم يغضب، فهو قد أحب الشيخ ومن أحب شيئا مال إليه ورغب فيه وتغاضى عن عيوبه.

- وما نصيبي من جناح البعوضة يا أمير المؤمنين؟ وقلب الشيخ يديه وأضاف: إذا كانت الدنيا عند الله تعالى بما فيها من عز ومال وجاه وعمار وعقار لا تساوي عند الله تعالى جناح بعوضة، فماذا ستعطيني من جناح البعوضة يا أمير المؤمنين؟!

فوجئ الخليفة والحضور، توقعوا كل الأجوبة إلا هذا الجواب، توقع الخليفة أن يطلب الشيخ مالا يصلح به حاله أو منصبا يعلو به شأنه، لكن الشيخ خيب ظن الخليفة وتعالى عن حطام الدنيا بعد أن ربط نفسه وعقله مع الله تعالى، لا يعمل إلا ما يرضيه، لا يتحرك حركة ولا يسكن سكنة إلا من خلال هذا المنهج الذي هداه الله تعالى إليه.

اعتبر الخليفة وتغير حاله واشتد حزنه، وعلاه الخوف ظاهرا جليا في ملامحه وتساقطت الدموع فوق وجنتين غضتين.

كاد الجالسون حول الخليفة أن يوقعوا بالشيخ ويوبخونه على ما فعل بالخليفة، تذمروا وسرت بينهم همهمة فطن لها الخليفة فأومأ إليهم بالصمت، ونظر إلى الشيخ خائنا مرتعبا وقال:

- لقد وعظت يا شيخ فأبلغت وأوجعت، لقد غلبتنا الدنيا في حين لم تأخذ منها شيئا، كما أنك ضيقت علينا هذا الملك الواسع وصيرته عبئا ثقيلا لا ندري ماذا نصنع به وكيف نقابل الله تعالى به.

صمت الخليفة ثم طلب من الشيخ أن يأتي إليه بين الحين والآخر وألا يبطيء عليه وهو أحوج إليه من كل من حوله.

(٣)

زوجة أبي واكد

لماذا يخدع الإنسان الإنسان؟ لماذا يمكر؟ لماذا يتخابث وينافق؟ أهو الجبن أم الطمع في حياة مختلفة؟ هل هي الرغبة في إيذاء الآخرين أم الغطرسة والغرور أم هو طبع في الإنسان وقد يختلف من واحد لآخر؟

جلس أبو واكد يلقي على نفسه الأسئلة حزينا يائسا مستعجبا من هذا الإنسان الضعيف الذي يبحث عن القدرة في الأشياء فلا يجدها، يبحث عن الخلود فلا يصل إليه مستذكرا سنوات عمره، كيف مرت، كم تحمل وتعب، ويظل السؤال الأصعب: ما مدى قدرته على التحمل؟

اعتقد أنها تبادله حبا بحب، فكر وقدر ثم فكر وقدر، ثم قرر أن هذه زوجة المستقبل، فتاة اليقظة والحلم، ظن أنه سيعيش الهناء كله، ستكون أيامه عسلا صافيا.

تكشف له الأيام أنه يعيش في وهم كبير: مثلت عليه الحب أجمل تمثيل حتى كاد أن ينسى كل شيء إلا زوجته الرائعة الودودة الطيبة، أخلص لها الإخلاص كله وأغدق عليها من حبه وعطفه واهتمامه لتكون مثالا لكل زوجة.

هل كانت كما حلم وتوقع، لنر.

ما هي الاسنوات حتى تمكنت منه ووضعته في دائرتها وأحكمت عليه الطوق، تقول له:

- كم أحبك يا زوجي العزيز، أنت مثال للزوج الذي تتمناه كل امرأة.

يرد عليها بصدق وعفوية: وأنا كذلك يا زوجتي العزيزة، أحبك وسأظل أحبك ما بقي لي من عمر.

في اليوم التالي يطرق بابها، تستقبله بترحاب، يشربان القهوة ويثرثران، مازال في الوقت متسع تقول له، هي بحاجة إلى هذه الثرثرة، يسألها بعد أن اطمأن بهما المجلس:

- أسعيدة أنت في حياتك الزوجية؟

ترد متبرمة: هي أيام تمر وحياة تمضي.

- يظهر لي أنك غير سعيدة.

تبحث نظراته في الغرفة عن زوجة غير سعيدة، يمنحها بعض الوقت لتتحدث عن نفسها أكثر وأكثر، عندها رآها تمثيل إلى الصمت المغلف بالحزن يفتعل الحزن، يقلص ما بين عينيه ويبحث له عن دور.

- كلنا عرفنا ذلك - - - - هل تظنين أن حياتك معه تسرنا، لكن ماذا نقول لقد أوقعت نفسك وأوقعت الكثيرين في حرج وتعب.

تتحاشى نظراته الملحة رأت فيها إصرارا على معرفة ما وراء الكلمات، استطاع بكلماته الرقيقة أن يجد منفذا للتعبير عن الذات والبوح بحرية وعفوية، بالمقابل لزمت الصمت وكبحت الكلمات التي تتدافع باستعجال للخروج وتقف على لسانها تمعن فبه وخزا.

- لقد شاهدته يوم أمس.....

قال ذلك ممعنا في إثارتها وجرها إلى الحديث عنوة.

- أين؟

- في أحد الشوارع الخلفية.

- ماذا تعني؟

- أعني أنه ليس كما تظنين؟

- لكني لم أظن شيئاً.

تصمت لحظة ثم تستدرك:

- قلت لك لم يكن يوما في دائرة اهتمامي.

استغل الموقف فأسرع إليها قائلا:

- كيف؟

وتنطلق الكلمات سريعة كأنها حبست في قمقم زمنا طويلا وجاءتها الفرصة على طبق من ذهب.

- أقول لك الحقيقة، أول مرة أقولها، وأنت أول إنسان أفضي إليه بها: لم أحبه يوما، ما تزوجته إلا بسبب ظروفي الصعبة وأظنك تعرفها.

يفرح كثيرا ويعدها بادرة طيبة يتمسك بها للدخول إلى حديث طويل يتمناه منذ زمن، ويسارع بخبث:

- لكن هذا زواج.... مصير حياة.... يتوقف عليه العمر كله، وهل العمر رخيص بحيث تضعينه مع رجل لا تحبينه؟ ثمة شيء آخر أنت جميلة والكل يتمناك.

- لا.. لا ليس كما تفكر، أنا قادرة على أن أعيش حياتي كما أشاء، دع الأيام تمر.

تنهض عن الكرسي، تذهب إلى النافذة لتلقي نظرة، ينهض هو بدوره ويلحق بها ليقف إلى جانبها.

- انظر إلى هذا الربيع الزاهي الذي يملؤ الكون، تصمت متأملة ثم تعود تسأل: كيف جاء هذا الربيع؟

- ماذا تقصدين؟

- لقد جاء بعد شتاء ورعد وبرق وبرد عانى منه الناس كثيرا أم تراه جاء هكذا فجأة، هكذا الحياة، فيها المعاناة وفيها التحمل والصبر، وبعدها يتحقق الأمل.

- آه فهمت، لنتناسى الموضوع، لدي فكرة.

- ما هي؟

- نذهب إلى مكان ما، لا أعلن عنه الآن، نتحدث في الطريق وستعجبك.

- متى؟

- حددي الموعد وأنا جاهز.

- غدا صباحا، الساعة التاسعة، يكون هو قد ذهب إلى عمله، أيعجبك الموعد؟

- أي شيء منك يعجبني.

قبل أن ينسحب مغادرا قالت له: لا تنس يجب أن نعود قبل أن يرجع، أرجو أن يبقى هذا سرا بيننا، لك عندي مكافأة إن أنجزنا العمل بسرعة.

كانت تركب إلى جانبه في السيارة، تتبادل معه الحديث وتكثر من التلفت من خلال

الزجاج الأمامي والخلفي، تحني رأسها، تخاف من المفاجآت، يدرك سر هذه الحركات ويستوضح.

- ألا تخافين أن يعرف؟

قالها بسرعة ليدرك مدى قدرة التحدي.

- لا يهم، قلت لك أخرجته من حساباتي، أفرحته الإجابة وأثنى عليها مشجعا.

- أرجو أن تعتبريني صديقا مخلصا.

دع هذا الحديث إلى حينه، أخاف أن يدركنا الوقت.

عبرت السيارة شوارع ضيقة مزدحمة، مرت بأزقة معتمة كثيرة الوحل تغص بالقاذورات، تمر فوقها العجلات محدثة أصواتاً مختلفة، ينزل من السيارة ويضغط على الجرس، تتلفت مذعورة، ينظر إليها واثقا مطمئنا، تطل فتاة، يهمس لها بعض الكلمات، تفتح الباب الكبير وتطلب منه أن يركن السيارة في مكان أشارت إليه.

يدخلان إلى البيت الذي يحيط به سور عال وله بوابة حديدية كبيرة، تقودهما الفتاة إلى ممر شبه معتم في نهايته ثلاث غرف؛ واحدة عن اليمين وأخرى عن الشمال والثالثة أمامهما مباشرة، تستقبلهما امرأة خريفية تتوكأ على عصا غليظة ينتشر شعرها الأشيب من تحت المنديل الذي لم تحكم ربطه جيدا، يتدلى من رقبتها طوق من الخرز الكبير والملون، تلقي إليهما بعض الأسئلة ثم تنصرف.

سمع أبو رائد بالخبر وجاء إلى أم واكد مسرعا.

- صباح الخير يا أم واكد.

- صباح الخير.

- أنا أبو رائد من دائرة البحث الاجتماعي، نلقي أسئلة ونقدم نصائح، لا غرض لنا إلا الصالح العام.

- تفضل.

- لماذا قبلت بأبي واكد زوجا؟

- القسمة والنصيب.

- هل تؤمنين بالقسمة والنصيب؟

- الموضوع لدي انتهى سواء آمنت أو لم أؤمن.

- لماذا لم تكن لديك الجرأة وتصارحي زوجك بالحقيقة؟

- وهل كل الناس يقدرون على قول الحقيقة؟

- لكن أنت المتضررة وأنت صاحبة القرار، الحياة حياتك تتحملين تبعاتها.

- نعم.

- ما ذنب أبي واكد؟

- ذنبه أنني أكرهه ولم أرغب به يوماً.

- هل يعرف؟

- بصراحة لا.

- ألا تخافين أن يعرف؟

- وأن.

- كيف يكون مصير الأولاد والأسرة التي تكونانها؟

- صمت

- لو كنت مكانك لصارحت زوجي وطلبت الطلاق قبل مجيء الأولاد والوقوع في الشرك والمطبات.

- هذا رأيك؟

- ولا رأي غيره.

- شكرا لنصيحتك.

(٤)

أم خالد

أم خالد امرأة عرفت ربها فعرفت طريق الحق والصدق. آمنت بالله وسلمت أمرها إليه، ائتمرت بأمره وابتعدت عن نواهيه، تلوذ إليه بين الحين والآخر تناجيه وتدعو بالتوفيق لها ولأسرتها فاستجاب الله لدعائها ووفق الله لها زوجها الذي رأى فيها الزوجة والحبيبة والأم والصديقة. أحبها بصدق وإخلاص وبادلته حبا صادقا، تأتمر بأمره وتركن إليه، تلقي إليه بمسؤولية الأسرة، تقف معه تساعده وتمنحه العزم والثقة.

كونا أسرة سعيدة لا انحراف ولا شذوذ، اتخذا من طريق الحوار الهادي، والحب والنصح طريقا لتربية أولادهما فكانا موفقين غاية التوفيق.

نشأ الأولاد في جو أسري دافئ، أسرة منسجمة متعاونة وساروا في طريقهم معتمدين

على الله أولا وعلى أنفسهم ثانيا؛ فكان منهم الطبيب الأمين والمهندس البارع والمعلم المخلص الأمين والمعلمة المؤمنة بالله تعالى لا تحيد عن الحق قيد أنملة.

ذاع صيت هذه الأسرة وانتشر خبرها وتمنى كثير من الأسر أن تكون مثلها، تمنوا لأولادهم أن يكونوا مثل أولادها لكن هيهات هيهات، لا تقوم الأسر هكذا بدون جد واجتهاد، بدون قيم وإيمان واعتماد على الله تعالى واتخاذ تعاليمه منهجا لينهجوه بكل صدق وعزم.

لندع أبا رائد يحدثنا:

مساء هادئ، الشمس في طريقها للغروب، الشوارع قلت فيها الحركة، أصوات المفاتيح تدور في أقفال المحلات التي في طريقها إلى الإغلاق، أبواب المخازن تكركر برتابة وإزعاج، تنتقل مساء الخير من شخص لآخر، أشعر بالنشوة والفرح وأنا أقطع الطريق بخطوات نشيطة وهادئة، اصطدمت ببيت متواضع من حجر، يحيط به سور من حجر أيضا، بين المدخل الخارجي والداخلي حديقة صغيرة جميلة التنسيق والترتيب، تكثر فيها الزهور ومقسمة إلى أحواض تزرع فيها الخضراوات وعلى أطرافها غرست أشجار الزيتون والكرمة التين؛ حديقة نظيفة لا أعشاب يابسة ولا خضراء، لا علب فارغة وأوراق، لا أكياس بلاستيكية ولا قطع حديدية صدئة كما نشاهد في كثير من الحدائق، استقبلني شاب في ريعان الشباب بترحاب، بعد أن تصافحنا سألت:

- أهذا بيت أبي خالد.

نعم وصلت، تفضل وسار أمامي إلى غرفة الضيوف، وجاءني أبو خالد؛ رجل وقور،

قدرت العمر منتصف الأربعينات، ابتدأت:

- أنا أبو رائد من دائرة البحث الاجتماعي أرغب في الحديث إلى أبي خالد وأم خالد إن لم يكن لديك مانع، أوحى أبو خالد إلى ابنه ليدعو أمه للحضور.

- تفضل قالها أبو خالد بأدب واتزان.

- ماذا يعمل أبو خالد؟

- طبيب في وزارة الصحة.

- وأم خالد؟

- مديرة مدرسة.

ازددت تفاؤلا ونشاطا، طبعا يا أبا خالد كما تحدثت معك بالهاتف نحن نبحث عن الحقائق لا غرض لنا إلا دراسة أحوال أسرنا، نحافظ على الأسرار ونكتمها.

رحب بي مرة أخرى واستعد أن يجيب عن الأسئلة بصراحة، بالرغم من أن طبيعة عملنا علمتني الجرأة في طرح الأسئلة، أمام هذه العائلة شعرت بالحرج، لماذا؟ لا أعرف، سألت أم خالد:

- هل أنتما على وفاق؟

- كل الوفاق والحمد لله.

- الطبيب يتأخر، يلتقي مع نساء، ما رأيك؟

ضحكت، تنقل إليك الثقة والطمأنينة بسهولة ويسر: كان الله في عونه، أدعو له ربي بالتوفيق، نعم الطبيب ونعم الزوج

- أنت كمديرة مدرسة، كيف توفقين بين العمل والبيت؟

- نعم ذلك يحتاج إلى جهد وتقدير، من يملك عقلا يستطيع أن يفكر وأن يدبر، المرأة الصابرة والواعية تعرف كيف تدبر بيتها وتهتم بزوجها وأسرتها.

- المرأة اليوم غير المرأة أمس، ماذا تقولين؟

- المرأة اليوم هي المرأة بالأمس وهي المرأة غدا، نفس المرأة، الجنس والصفات والأحاسيس، صحيح أن المرأة اليوم متعلمة واعية، وهذا ما يجعلها قادرة على التعامل مع الحياة والمتغيرات والأفكار الجديدة والمتطورة بثقة ووعي أكثر، المهم في الأمر الإقبال على الحياة بعقل يقظ وإرادة ورغبة في إعطاء كل شيء حقه، الابتعاد عن الغلو والتفريط، المرأة اليوم أكثر خبرة من جدتها، فهي تتعامل مع معطيات جديدة، أما الأحاسيس والرغبة في الحياة والإيمان بالقيم فأتمنى أن تكون مثل جدتها، تهتم ببيتها وتحترم زوجها وتحب جيرانها والناس.

- وبماذا تنصحين الزوجة؟

- الإيمان بالله أولا وإطاعة الزوج وجعله محور ارتكازها؛ الاهتمام بأمره وسد كل الثغرات التي قد يأتي منها ما يؤثر على الأسرة أو يخدشها من قريب أو بعيد، الصبر على مكاره الحياة وهي كثيرة، التعامل مع الواقع كما هو، الاعتدال بالنفقة وبالتالي أقول: تسلم قيادها إلى ربها ثم زوجها وتشعر زوجها بالسيادة الكاملة.

- بعض الزوجات لهن رأي مختلف ويرين أن ما تقولينه هو العبودية ونحن في مجتمع متحرر، بكل أسف العبودية مرفوضة إلا لله تعالى.

- احترام الزوج ليس عبودية، هي اعتراف بالسيادة والقوامة كما جاء في ديننا الحنيف، لا أعني بذلك أنني بدون إرادة أو مسلوبة الشخصية، ولكني أتحاور مع زوجي وأبدي له الطاعة وهو يأخذ برأي في كثير من المواقف ويستشيرني وأقول عن تجربة: إذا رأى الزوج في زوجته الحب والإخلاص والتعاون والتفاهم فسوف يكون لها مطواعا، سيدا رحيما وأبا كريما وأخا وصهرا وعزيزا، وبهذا تكون الزوجة سيدة وليست عبدة.

- وأنت يا أبا خالد ماذا تقول؟

- لا أرى بعد هذا القول قول، ولكن أضيف: المرأة العاقلة الحكيمة تدير بيتها وأسرتها بجدارة، وأنا والحمد لله أشعر بكل هذا.

- لم يبق ما أقوله، أتمنى أن تكون كل الزوجات مثل أم خالد وأن تكون كل الأسر مثل أسرة أبي خالد، أعانكما الله تعالى وجزاكما عنا كل خير.

(٤)

أم هادي

سمعنا عن امرأة يقال لها أم هادي، ودودة حسنة الخلق طيبة المعشر، أول ما يقال عن أبي هادي أنه مشاكس كثير الزوغان، يدخن ويشرب الخمرة ويذهب هنا وهناك.

سنوات قليلة مرت على زواجهما واذا بأبي هادي يذهب إلى المسجد بين الحين والآخر، نحن الان أمام أبي هاد جديد، وكأن كل ما سمعناه وعرفناه غير صحيح.

أسعدنا هذا الخبر وأسرعنا بالاتصال مع أم هادي نستطلع الحقيقة.

- السلام عليكم.

- وعليكم السلام.

- نحن نتكلم مع أم هادي أليس كذلك؟

- بلى.

- أم هادي نحن من دائرة البحث الاجتماعي نقوم بدراسة اجتماعية عن الأسرة، نوجه أسئلة ونطلب الإجابة عنها بصراحة.

- تفضل

- ماذا يعمل أبو هادي.

- موظف.

- ألكم أولاد.

- نعم والحمد لله تعالى، بنتان وولد.

- هل أنت سعيدة يا أم هادي؟

- الحمد لله.

أتعملين؟

- نعم أنا موظفة.

- كيف توفقين بين العمل والبيت؟

- بما أنني موظفة وربة بين فعلي أن أقوم بكليهما، التعب موجود والتصميم على إزالة كل العقبات موجود أيضا، أنا سعيدة بذلك، وتضيف: أنا سعيدة بذلك، أهيئ لزوجي

وأولادي الطعام وأقوم على خدمتهم جميعا برغبة وأريحية، فهو زوجي وهم أولادي

وهذا بيتي مصدر سعادتي وهم كل حياتي ولا حياة لي غيرهم.

- هل أبو هادي عصبي؟

- نعم وسريع الغضب؛ يثور لأتفه الأسباب، لكنه طيب وقريب إلى القلب، أعامله بهدوء

وصبر، أطيعه وأحبه، أسعد شيء لدي أن أقدم إليه ما يطلب، أشعره برجولته وأنه هو

السيد وأن البيت بدونه لا حياة فيه.

- أتقولين له مثل هذا الكلام؟

- نعم وأتفنن فيما أقول.

- ألم تقولي له هذا راتبي وهذا راتبك كما تفعل كثير من نسائنا العاملات؟

- لا مطلقا، هو الذي يستلم الاثنين وهو الذي يقوم بالمسؤولية كاملة.

- هذه مثالية.

- سمها كما شئت.

- هل البيت ملك أم مستأجر؟

- ملك والحمد لله.

- ما رأيك بالمرأة المطيعة؟

- هي المرأة حقا وصدقا، لأن من طبيعة المرأة أن تطيع زوجها وتشعره دائما أنه السيد

وهو الكل بالكل، ديننا يأمرنا بذلك، وإذا أطاعت المرأة زوجها فإن الله تعالى ييسر لها

أمرها ويسعدها ويسعد زوجها وأسرتها، وأمهاتنا يوصيننا بإطاعة الزوج والتزين له

وعدم إثارة النكد، لأن ذلك ينعكس سريعا على الأولاد.

- ألم يحدث بينكما شجار؟

- نعم يحدث، لا يوجد زواج بدون شجار ومشاكل، لكني تعلمت وتدربت أن أكون هادئة وإذا غضب ولاحظت أنه يميل إلى الشجار والمناكفة التزم الصمت حتى ينتهي ويفرغ غضبه، وبعد ذلك أناقشه بهدوء وأزيل سبب غضبه إن قدرت على ذلك أو أهون عليه الأمر إن كان الموضوع الذي أثار غضبه كبيرا.

- لقد عرفنا أن أبا هادي يصلي معظم الأوقات في المسجد، هل كان هذا من قبل؟

- لا لم يكن هذا من قبل، الذي كان هو العكس تماما، كان مشاكسا وعصيا على الطوع؛ كثير النكد، يخرج من البيت باستمرار، يهتم بأصحابه ويسهر معهم، يلعب الورق ويدخن ويشرب ولا يهتم بالقيم بتاتا.

- ولكن كيف حدث هذا التغير؟

- ماذا أقول لك يا أخي، كم تعذبت وكم تحملت وكم صبرت، إلا أنه كانت لدي الرغبة والتصميم أن أجعل منه إنسانا آخر، وهذا برأي أول وأهم واجبات الزوجة، لا يأتي الأمر بسهولة، يحتاج إلى تدريب والى عزم وتصميم وقوة إرادة وأسلوب وبخاصة إذا كانت طباعه سيئة كما هي عند زوجي، أرجو أن تمنحني الفرصة لأتكلم، لدي الكثير لأقوله، أريد أن أنقل تجربتي للأخريات؛ فالمرأة الحكيمة هي الزوجة الصالحة، هي القادرة على جلب السعادة لبيتها إذا أرادت، الرجل يكره المرأة المترجلة العنيدة المستهترة المبذرة، بل هو يحب المرأة المطيعة الهادئة المدبرة التي تهتم بزوجها وأولادها، مهما كانت أخلاقه

فهي قادرة على أن تجعل منه نعم الزوج، أنا أتمثل القول التالي وأعمل به:

كوني له أرضا وطيئة يكن لك سماء ظليلة.

كوني له عبدة مطيعة يكن لك سيدا رحيما.

كوني له فراشا وثيرا يكن لك غطاء دافئا.

أتجمل له وأتملقه، أمد له يد العون وأهون ما صعب عليه من أمور، أصبر معه في حالتي الفقر والمرض، أعطيه حرية اتخاذ القرار وأشعره أن قراره هو القرار الحكيم وإن كان غير ذلك أشير إليه بأدب واحترام، لا أدخل بيته من لا يحب ولا يرى مني إلا ما يحب، أعمل على التغير بحيث لا تقع عيناه على ذات المنظر كثيرا، أعامله كزوجة وصديقة وعشيقة وحبيبة وأتكلم معه الكلام الحسن، واعتذرت عن الإطالة.

- ألا يقولون لك أن هذا تنظير وكلام إنشاء نقرؤه في الكتب فقط؟

- نعم هم يقولون مثل هذا، حقا سيظل كلام إنشاء وتنظير إذا أردنا ذلك، أما إذا توفرت القناعة والإيمان المطلق والثقة والرغبة في تحويله إلى عمل فيتم ذلك.

- أم هادي اسم على مسمى، لقد سعدنا بهذا الحوار الطيب المفيد نتمنى أن تكون كل النساء مثل أم هادي وشكرا على تعاونك معنا.

(٥)

السيدة سلمى

- هل السيدة سلمى موجودة؟

- نعم من يطلبها؟

- أبو رائد.

- تعالي يا سلمى هناك من يناديك على الهاتف.

- نعم من يتكلم معي؟

- أبو رائد من دائرة البحث الاجتماعي، أرجو المعذرة سنوجه إليك أسئلة من أجل البحث والدراسة، نريد أجوبة صريحة، لا غرض لنا إلا تقصي الحقائق.

- تفضل.

- هل زوجك موجود؟

- نعم.

- وماذا يعمل؟

- لا يعمل، كان يعمل سابقا.

- أيشكو من مرض – لا سمح الله – ؟

- لا صحته ممتازة.

- آلديكم أولاد؟

- نعم.

- كم؟

- ثلاثة أولاد وبنتان.

- هل البيت ملك أم مستأجر؟

- ملك.

- لك أم له أم لكما؟

- مناصفة.

- ما دور الزوج في البيت؟

- أنت طلبت الصراحة، لا دور له.

- هل يثير مشاكل؟

- لا يقدر أن يفعل.

- ولم؟

- لأنني أمنعه وأقف في وجهه.

- وأنت ماذا تعملين؟

- موظفة.

- لدينا معلومة تقول؟ كان له أرض وراتب جيد.

- نعم صحيح.

- لماذا باع الأرض؟

- لنبني البيت وأشياء أخرى.

- هل هو نادم؟

- لم يقل، حتى وإن ندم ما الفائدة، انتهى كل شيء.

- أنت قلت: لا دور له في البيت، أتقومين أنت بدور الزوجة والزوج معا؟

- نعم أنا أدير البيت وأقوم بكل شيء.

- ألا يعترض؟

- حتى وإن اعترض لا فائدة من اعتراضه.

- هل جو الأسرة بشكل عام مريح؟

- ماذا تقصد؟

- اقصد هل الأولاد راضون عن موقع الأب في الأسرة؟ ألا يرون أن هناك خللا ما وبخاصة الكبار، أنت تقولين أن هناك اثنين في الثانوية العامة؟ هل أنت راضية عن هذا الوضع، من عاداتنا وتقاليدنا أن الزوج هو ربان السفينة، لكننا أمام واقع مختلف، ما أثر ذلك على الأولاد؟

- آه أنا عرفت ما ترمي إليه، أنت طلبت مني الصراحة: زوجي مضطرب وقلق وغير راض، لكني أثير له المشاكل وأقف له بالمرصاد وأمنعه من أي عمل لا يوافقني، الأولاد غير راضين وهم مع أبيهم باستمرار، يحبهم ويخاف عليهم وأكثر ما يخاف منه أن تنعكس المشاكل على الأولاد، فهم أول متلقين ومتأثرين بالمشاكل التي تحدث بالأسرة.

- ألا يحدث بينكم شجار؟

- نعم كثيرا وبخاصة في غياب الأولاد.

- هل ضربك مرة مثلا؟

- أوه كثيرا، في السابق كان يضربني ويطردني من البيت، أعود وأقول له: البيت بيتي.

- لقد قرأت وسمعت، وأرجو المعذرة فيما أقول، أن المرأة المترجلة تواجه مشاكل مثيرة في حياتها، وبصراحة أكثر هي امرأة مكروهة من الزوج والأولاد وحتى من النساء، ما رأيك؟

- لا يهمني ما تقرأ ولا يهمني ما تسمع وليقل الناس ما يقولون، أنا هكذا خلقت وهكذا سأعيش، ثمة شيء آخر كثيرا ما أسمع مثل هذا الكلام، ويظل تحت مسمى الحرية الشخصية؟

- هل أنت سعيدة يا سلمى؟

- سأكون صريحة معك، لا لست سعيدة، أتدري لماذا؟ لأن أولادي يكرهونني وزوجي يكرهني، وهم يتمنون موتي حتى أخوتي وأخواتي لحقهم العار بسببي، أينما ذهبت أرى الشماتة والاحتقار في عيون الناس، وعندما يحتدم الغضب يقولون لي: رجل غانم، المرأة تكره أن يقال لها مثل هذا الكلام، أنه طبعي لا أقدر على تغييره.

- لكن الطبع يتغير بالتعليم والتجارب والصبر.

- أتمنى ذلك.

- شكرا على هذا الحوار الصريح، أتمنى لك ولأسرتك السعادة والهداية.

(٦)

أم أحمد

أم أحمد امرأة من عامة الناس، نشأت في أسرة متوسطة الحال، وقف معها الأب والأم وأكملت تعليمها الجامعي، حصلت على بكالوريوس في علم النفس، وزاد من سرورها أنها عينت مرشدة تربوية في مدرسة ثانوية.

تعرف إليها شاب جامعي، تولدت بينهما علاقة انتهت بالزواج. فرحت بهذا الزواج واستشرفت الأيام بتفاؤل ومرح، وراحت تغذ السير في دروب الحياة بثقة ونجاح وسعادة، زوج كريم طيب يتعامل معها بلطف لم يكدر حياتها مكدر.

اطمأنت إلى الأيام ووثقت بها وظنت أن النجاح والتوفيق سيظلان حليفين لها، وأن الأيام ستمر بسهولة ويسر بدون عقبات أو معيقات، وبخاصة أنها قطعت مرحلة منها وهي في تفاهم تام وتصالح مع زوجها والأيام، تبوح لصديقاتها بمكنوناتها.

السؤال الذي يبرز دائما عنوانا باللون الأحمر هل يستمر هذا التصالح والانسجام مع الأيام والزوج إلى ما لا نهاية أم كانت هي والمعيقات والعقبات والمصائب على ميعاد؟

ما أن أنجبت الولد الأول متأخرا حتى أصيب بما يسمونه (الخلع الولادي)، هذا هو أول امتحان في دروس الأيام. تألمت وبكت واشتكت إلى البعيد والقريب، أيقنت أخيرا أن هذا ابتلاء من الله تعالى، فهو يبتلي عباده ليعرف المؤمن الصابر من غيره، تجر الأيام ذيولها لتترك وراءها اهات في النفس وجراحات في القلب. وجاء الابتلاء التاني، كان وقعه في النفس أكبر وأشد. تعرض زوجها لحادث سيارة ألقى به إلى مقعد يربض فوقه

ما قدر الله تعالى من حياة.

تتضاعف مصيبتها ويتضاعف ابتلاؤها، ترتفع المأساة إلى حد التراجيدي، ويقف العقل حائرا متلجلجا.

وماذا بعد؟

تنجب فتاة رائعة الجمال، قطعة من نور، ترى في هذا الحدث تعويضا عما أصابها؛ تفرح وهي تنظر إلى عينيها الخضراوين ووجهها الملائكي، تسعد كثيرا وهي تمرر المشط في شعرها الحريري الكستنائي، وتنفرج شفتاها عن ابتسامة عذبة وهي تسمعها تلغو بكلمات غير مفهومة.

تغدو هذه الفتاة شغلها الشاغل، تنسيها أوجاعها، تخفف عنها ما يأتي به الولد الذي يكبر أمام عينيها، يتعثر في خطوه، يتكلم بكل صعوبة، يحرك ساقيه ليقف فلا يقدر، يسقط على الأرض فيسقط معه قلبها، يكسر ما يجد أمامها وما تصل إليه يده فينكسر وعيها وصبرها.

يتضاعف الشرخ ويكبر الألم وهي تطالع عيني زوجها وقد ملأهما الحزن واليأس والألم الذي يلقي بالإنسان إلى قعر الحياة كالمتاع الساقط، فتسوء نفسه ويتقلقل في داخله بحر لجي لا يقر له قرار ولا يهدؤ له بال.

هي لا تدري ما ستؤول إليه حالها وحال أسرتها؛ تنظر إلى السماء تستلهم منها ما يعينها، وتنظر إلى الأرض لترى موضع خطوها ولتشق لها طريقا يقود إلى الأمان فلا تجد ضوءا في نهاية النفق مما ينزع بها إلى اليأس يلقي بها إلى الضياع والتشتت وتقرأ

في عيون أسرتها المستقبل المعتم.

عاشت قطعة من الزمن تصطدم في ذاتها قوى مضطربة متناقضة بين اليأس والأمل والقوة والضعف والخوف والأمن؛ ترجح كفة الخوف واليأس عندما تنظر في مرآة نفسها، تتوازن الكفتان في زمن ما، ثم تعود إلى توازنها الطبيعي عندما تنظر في عين عقلها وقوتها وإرادتها، وتبقى كذلك بين الرجحان والتوازن إلى أن تنتصر قوتها على ضعفها ويتغلب رجاؤها على يأسها.

تستعذب التضحية من أجل هدف سام، تحتال على مصيبتها بكل ما أوتيت من قوة وعزم، توظف خبرتها وعلمها وإيمانها حتى جعلت من حياتها نورا يشع في كل مكان وبسمة سعيدة تمحو بها تعب أسرتها وقلقها وخوفها.

تسرع إلى زوجها وتبث فيه العزم، تقلل من وهنه وترفع من معنويته، بالبسمة والكلمة الحلوة والأمثلة من الحياة تجعله يقوى ويصبر ويتأمل ويفرح، وتميل إلى ابنه وتقول له: هناك التعويض، مثلك المئات، بل قد تكون مصيبتك أقل شأنا من مصائبهم.

يكبر الولد ويشيب الوالد، تزهر البنت وتتفتح أكمامها عن زهرة فواحة العطر ريانة العود، ويهزؤ الولد بضلعه وينتصر عقله على نفسه، يدخل الجامعة واثقا مطمئنا إلى حياته ويجلس على كرسي المحاماة بعد أن اهتزت تحته كراسي الخوف والقلق والضياع وتجلس البنت إلى مبضعها تقص به ما علق بالأجسام المتعبة من ألم وتعب.

تنفرج شفتا الألم في خدود تغضنت ورسمت عليها ملامح الزمن سطورا مليئة بالصبر والكفاح، ينتقل الخبر إلى أبي رائد ويسرع من فوره إلى هذه العائلة يستطلع خبرها:

- السلام عليكم.

- وعليم السلام.

- نريد أن نتحدث إلى أم أحمد.

- تفضل أنا أم أحمد.

معك أبو رائد من دائرة البحث الاجتماعي، نقوم بدراسة اجتماعية نتعرف إلى أحوال أسرنا.

- هل أبو أحمد موجود؟

- نعم والحمد لله.

- كيف هو؟

- بخير والحمد لله.

- ماذا تعملين يا أم أحمد؟

- مرشدة تربوية.

- نعم الوظيفة ونعم العمل، إذا والحالة هذه لا غرابة أن تكون أسرتك من أسعد الأسر؛ ثقة بالنفس وقدرة على الحوار وتحدي الصعاب، ماذا تقول أم أحمد وقد صبرت هذا الصبر كله وعزمت هذا العزم كله لتنقذ أسرتها من الضياع وفقدان الأمن النفسي بعد أن أصاب زوجك وابنك ما أصابهما؟

يشتد وجيب قلبها ويرتفع نشيجها نسمعه عبر أسلاك الهاتف.

- الحمد لله يا أخي.

- حدثيينا عن تجربتك.

- ما أنا إلا امرأة مثل سائر النساء، آمنت بربي وعرفت حجم مصيبتي فصمدت واستعنت بالله تعالى فلم يبخل علي بمنه وكرمه.

- كلام جميل يا أم أحمد، شكرا لهذا التواضع ولهذا الإيمان ولهذا الصبر.

- ماذا تقولين للمرأة الأم والزوجة؟

- أقول ما قاله رب العالمين من فوق سبع سماوات. بسم الله الرحمان الرحيم (يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصين الله في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم) صدق الله العظيم.

- أجبت فأحسنت الإجابة، أتمنى لك ولأسرتك حياة سعيدة

(٧)

امرأة من التراث

هذه المرأة لا تقدر أن نكلمها، عاشت في زمن غير زمننا مضى وانتهى، هي أم من أمهاتنا وامرأة من نسائنا كانت نعم الزوجة ونعم المرأة ونعم الأم.

عملت بما يمليه عليها الواجب والرأي السديد الذي لم تبخل به على زوجها وعلى أولادها، ليست موظفة ولا عاملة ولا تحمل شهادة علمية، هي ربة بيت، امرأة حرة كريمة تعمقت فيها كرامتها وإنسانيتها وحبها لزوجها وطاعته، عملت على إسعاده

وتهيئة البيت السعيد المريح مما صيرها مثالا يحتذي ومما جعلنا نثبت قصتها لتكون عنوانا بارزا لكل زوجة ولكل أسرة سعيدة.

يبثها زوجها حزنه وشكواه، يجد فيها نعم الأنيس ونعم المستشار، سداد في الرأي وحكمة وكلام جميل لا ينسى أثره.

رزقها الله تعالى بأولاد ماتوا تباعا، لم تجزع، لم يساورها شك بإيمانها في ربها العظيم، صقلها الحزن وأغنى تجربتها في الصبر والإيمان.

وقفت إلى جانب زوجها تسنده، تعمل بطاقة عقلها وطاقة جسدها وطاقة لغتها ودماثة خلقها إلى أن اختير زوجها شيخا للعشيرة، فكان ذلك غاية فرحها وغاية سعادتها، كبرت مسؤوليتها وعرفت مقدار العبء الذي ألقي فوق كاهل زوجها، لم تبخل بكل ما تعرف وبكل ما تقدر، اشتهر زوجها بين الشيوخ وارتفع صيت عشيرته بين العشائر؛ أخلاقا وطيبا وكرما وتسامحا.

عرف الناس الشيخ الجهماني ولم يعرفوا ضحى الكعبية فلم تبتئس ولم تتألم، العكس تماما ما حدث فهي فخورة بأن يشهر زوجها وتنسى هي.

تعمل من وراء عمود بيت الشعر وخلف الستارة، ابتلاؤها في أسرتها أكبر مما تتحمل طاقتها، موت أبنائها تباعا أقض مضجعها وقتل حلمها.

انحصر تفكيرها بأن يكون لها ولد يخلف أباه في أمر العشيرة ويسندها عند الكبر.

رزقها الله تعالى بمولود مختلف، أو هي ظنت أنه يختلف، علقت عليه آمالا كبارا، بدأ يكبر وبدأ يظهر مع أبيه في مجالس العشيرة: يستمع إلى ما يقال فيها، يتعلم آدابها

ويعرف ما يجب أن يقال وما لا يجب.

ركب الفرس وغدا فارسا مغوارا، تشرب الكرامة والعزة قطرة قطرة، وكان محور اهتمام أبيه، يسعدان به كلاهما ويفتخران به، أحبته عشيرته لدمائه خلقه وطيب معاشره وحسن منطقه.

يضعه أبوه بين الحين والحين تحت الاختبار؛ يبعثه في مهمة إلى العشائر الأخرى، ينجزها بسهولة ويسر، أو يغيب هو لمثل هذه المهمات ويبقيه ليجلس مكانه ويقوم بمهماته في أثناء غيابه.

اكتسب خبرة وتعلم كل ما يلزمه ويحتاج إليه في حياته من فروسية وكرم وعادات وتقاليد وثقة في النفس.

في يوم أصابته آلام خفيفة لم يؤبه لها، ظلت تراوح مكانها أياما قليلة ثم انتهت، وعادت مرة أخرى لتشغل البال وتثير في النفس الريبة والخوف.

كان الطب بدائيا طبيعيا يعتمد أكثره على الأعشاب والخبرات الذاتية الفردية، اقتصر العلاج على القيصوم والشيح والبعيثران.

كادت الأم تصعق عندما وقع مغشيا عليه، ارتبكت وولولت وبخاصة بعد أن صفت لها الأيام زمنا امتد وامتد حتى ظنت أنها نسيتها تماما ونسيت معها أوجاعها وأحزانها السابقة، وتبدل حزنها فرحا بهذا الولد الذي يختلف.

بالرغم من حزنها وخوفها الشديدين ظلت طبيعية، تستقبل زوجها بترحاب وتساعده في خلع ثيابه ووضع البندقية في عامود البيت، تهيء له الطعام والشراب وكأن شيئا لم

يكن، وعندما سألها زوجها عن ولده أثنت عليه وقالت: أنه بتمام عافيته.

حمد الشيخ ربه ودعاه وشكره على كرمه ونعمائه وقام إلى مجلسه تاركا الأم تمور موراً، كاتمة كل صرخات الألم؛ تلجم دمعها وتضبط عقلها ويدها ليكونا في غاية الانتباه والاهتمام بما تعمل وبما تفكر.

انتهى الشيخ من مجلسه واستعد للنوم، عرج إلى ابنه الراقد في فراشه يحس نبضه ويعاين حرارته ويطرح على ابنه أسئلة ويجيب الابن بتفاؤل وأمل، مجرد وعكة صحية كما يقال الأم خائفة بل مذعورة؛ فهي قد جربت وقد عانت وعرفت بوعيها الداخلي أنه سيصير إلى ما صار إليه أخوته من قبل.

أحيانا تستدرك وتجري مع عقلها القلق؛ هم ماتوا صغارا وهذا قد كبر وتعدى مرحلة الخطر، لقد تجاوز الخط الأحمر الذي سقط دونه آخوته.

لم يشك من شيء منذ أن درج فوق الأرض، يمتلئ شبابا وعافية مما يهيئ الذهن أنه سيعيش حياته ويستقبل أيامه بفرح وأمل وسرور.

يرقص قلبها هلعا وترتجف مثل ورقة في مهب الريح، تضطرب خطواتها ويشحب وجهها ثم تعود وتطوي جراحها وتكتم أمرها عن كل ما يثير الريبة والشكوك.

تقف أمام مطالب زوجها الكثيرة تؤديها بالتمام والكمال: تتزين له وتتقن وجبات الطعام التي تقدم لضيوفه وتغذي زوجها بالأمل وحسن الظن بالأيام.

ذهب زوجها في مهمة كعادته وغاب بضعة أيام.

في يوم عودته كان ابنه قد نام نوما طويلا. فلم يعد يشعر بالآلام ولم يعد قلبه يرتجف

ولم تعد حرارته ترتفع، همد همودا كاملا، عرفت الأم أنها النهاية وأنه سار في الطريق الذي سار فيه أخوته.

استقبلت زوجها أحسن استقبال، تجملت له كعادتها وساعدته في خلع ثيابه ووضعت البندقية في عامود البيت، هيأت له الطعام والشراب فأكل وحمد الله، شعر برغبته إلى زوجته فلم تبخل عليه ونام بعد أن كده التعب والسفر.

صحا من نومه، مسحت دمعها الذي كابدته كل الليل وغسلت وجهها بالماء البارد ليزول كل أثر للدمع أو الحزن أو الألم.

سأل الشيخ عن ابنه فقالت: أنه لم ينم مثل نومه الآن ولم يسكن من قبل مثل سكونه الآن، لم يعد يشعر بأي ألم، دعت الله بسرها أن توصل إليه النبأ بسهولة ويسر.

صمتت بعض الوقت ثم عادت إليه وقالت:

- ما رأيك في رجل استودعك وديعة وجاء ليستردها؟

رد على الفور بشهامة: أرد إليه وديعته.

شعرت بالراحة وبرد اليقين.

- يا شيخ إن الله استودعك وديعة واستردها، فماذا أنت قائل؟

وصلت الرسالة بعفوية لم تتوقعها، أعجب الشيخ بذكائها وقدرتها على التحمل، استعرض بذهنه ما عملته معه منذ قدومه من السفر، وهو يعرف أنها امرأة ضعيفة شديدة العاطفة.

- كيف قدرت على كبح جماح حزنك وألمك وأظهرت كل هذا الود وهذا الصبر؟

كبرت في عينه وازداد لها حبا وتقديرا وهانت عليه مصيبته أمام تحملها، وأقبل إليها

بضمها.

بشوق وحزن، وانهارت بين يديه مثل بناية أصابها زلزال وتهدمت أركانها.

السيدة ألفت

كثيرا ما تتردد على الأسماع مثل هذه الكلمات: المرأة الحديدية، الحكيمة، القوية، المستهترة، المخادعة، يا ترى إلى أي حد تعطي هذه الكلمة مدلولها؟ هل هي بمستوى المعنى قريبة أو بعيدة عن هذا المعنى؟

أنا أول متلق أو قد أكون آخرهم طرقت مسامعي هذه الكلمات فصرت أبحث عما وراءها مما دفعني لأن اطوي أوراقي وأبحث في هذه المرأة وكيف وصلت إلى ما وصلت إليه، يقول أبو رائد:

ألفت هذا هو اسمها، لا يعرف أحد لم وكيف جاء إليها هذا الاسم، هل هو مصادفة أم له دلالته التي لا نعيها؟

تقول أمها: أبوها تركي الجنسية وكذلك جدتها لأمها، جدتها هي التي ساعدت أمها لتتزوج من أبيها بعد قصة حب وطول معاناة. عاشت ألفت حياة عزيزة كريمة ذات دلال وسط أسرة ثرية ذات حسب ونسب ووحيدة، نالت كل الرعاية وكل الاهتمام.

كانت مرحة متفائلة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان، لا يقترب إليها نكد ولا يصلها غم أو هم، طلباتها مستجابة، كل ما تشتهيه النفس والعين تجده بغمضة عين حاضرا أمامها، تلهو مع صويحباتها وبين أبيها وأمها وجاءت جدتها التركية لتضيف إلى

المشهد بان روما جميلة ورائعة، أحبتها جدتها أكثر من الجميع، وكانت الجدة وحيدة من غير أنيس أو جليس بعد أن غادرها أولادها وبناتها إلى بيوتهم الجديدة، وصارت ألفت الجليسة الوحيدة، أسرفت في تدليلها؛ تجلب لها الحلوى وتشتري لها الألعاب والفساتين من أغلى وأحدث ما أنتجته الفبركة الصناعية.

لم تعرف ألفت العوز والحرمان، حتى وان عرفتهما في حياة الآخرين، فهذا لا يعنيها ولا تهتم أو تأبه به.

تدوس على الحرير وترفل بالحرير، وتكتحل عيناها بالرزم النقدية والأكوام الذهبية هنا وهناك.

عاشت حياة يمتزج فيها الخيال بالواقع، فهي خيالية مرة بحيث لا تصدق أنها تعيش على أرض الواقع، ومرة أخرى هي حلم كالأحلام التي تأتي للناس بالمنام، ومرة ثالثة هي واقعية ملء السمع والبصر.

يأتي إليها السائق مع سيارة (الكد لك) ليأخذها إلى المدرسة في الصباح ثم يعيدها عند المساء أمام نظرات زميلاتها الحاسدة والمليئة بالحسرة والدهشة؛ فهن يقطعن الشوارع بأحذية بالية ومريول السنة الماضية، لا يعرفن من الغنى والجاه والرفاهية إلا بمقدار ما تعرف ألفت من الفقر والحرمان وشظف العيش.

مجمل القول ابتعدت عنها الأيام ونسيتها تماما، أو هي تلهت عنها وراحت تراقب غيرها وتقف لهم بالمرصاد، تحصي لهم أنفاسهم وتعد خطواتهم وتضع لهم العراقيل؛ تكيد لهذا وتقتل ذاك، تسلب من هذا صحته ومن ذاك ماله وآخر وجاهته وغيره قلبه وعقله،

إلا ألفت التي لم تعرف من كل هذا إلا في الكتب.

جاءها يوما ابن الشيخ علي خاطبا وهي مثل كل فتاة في هذا الكون تحلم بأن يكون لها بيت وزوج وأولاد وأن تكون لها حياتها تبنيها كما تشاء.

ما أن قابلته حتى عرفته ثم أحبته ثم قبلت به زوجا، راغبة غير كارهة ومتحمسة مقبلة بكل وعيها وإدراكها.

سمحت لها حياتها المفتوحة أن تقترب منه وتتعرف إليه عن قرب، ومنحتها دراستها العالية الفرصة لتنفذ إلى شخصيته وأفكاره.

وقع ابن الشيخ تحت الاختبار قادرا مقتدرا، فهو ليس أقل منها ثقافة وفكرا وتربية وانفتاحا على الحياة مقبلا غير مدبر، يملك ذاكرة واعية تلتقط الصغيرة والكبيرة، يناقش ويحاور، ويميل بطبعه إلى الهدوء.

وافق شن طبقة، التقى سعيد بسعيدة، لم يذهبا إلى البقال ليقولا له افتح دفترك ولا إلى تاجر الأثاث ليشتريا بالتقسيط ولا إلى الحافلة يزدحمان مع من يزدحم ولا خافا يوما أن تنقطع عنهما الكهرباء أو المياه لأنهما لم يسددا الفواتير.

التقى المال مع المال والعز مع العز: تشابهت طفولتهما، اللهم لا حسد، كان المال يسيل إليهما من جهتين ومن كلا الأسرتين، مدد من غير عدد.

طالت الحكاية وامتدت حتى كادت تصيبنا بالملل، أليس لهذه الحكاية من حدود تنتهي عندها؟

أمن المعقول أن تستمر الأيام في عطائها الثر إلى ما لا نهاية؟

لقد فتح المال قلب وعقل ابن الشيخ على الآخر، يريد أن يستغل غفلة الأيام ليجلب أكبر قدر من هذا المال، ضانا أنه بهذا المال يشتري كل شيء: العقول والأحلام والآمال حتى رسخ في عقله الباطن والظاهر، في الوعي واللاوعي أن المال هو كل شيء.

زاد من شركاته ونوع تجارته، اشترى أساطيل النقل والعقارات وملأ البنوك.

جاءته الأيام على استحياء تقول له: كفاك، اقنع بما حصلت عليه وهو كثير وكثير جدا، انتبه إلى بيتك وزوجك وولديك، فهم أحوج إليك من هذا المال، وهم بقربك أكثر سعادة ودفئا واعلم أن ابتسامتك في وجه ابنك وضمك زوجك بحب وحنان أفضل من هذا المال كله.

التجأ إلى الممنوعات واتجر بما هو فاسد من الطعام والشراب، وبدأت العيون تحوم حوله، صار ولداه أول المتعاطين من هذه الممنوعات، عواس السم أحرى بأن يذوقه.

صحا على الكارثة متأخرا بعد فوات الأوان، جاءته الأيام هذه المرة مستعجلة بعد أن وعظته بما فيه الكفاية وإذا بالمال يتسرب من بين يديه بذات الطريقة إلى سال بها إليه؛ هذا ينهب وذاك يحتال وآخر يدخله في صفقات وهمية إلى أن انتهى المال كله ولم يبق إلا الشيكات المؤجلة التي اضطرته إلى بيع كل ما يملك من عقار.

انتقل الى مال زوجته وعقارها وهو كثير لكن الديون أكثر منه، أعطته بسخاء آملة باسترداد ما ذهب آملة أن يعود زوجها إلى رشده.

دخل السجن وأخذ يخاطب ولديه لا يصحوان إلا ما ندر وزوجته من وراء القضبان.

ما موقف المرأة الزوجة من كل هذا؟ أين هي في هذا التيه وهذا النفق المظلم الذي لا

يرى له آخر.

طلبنا من السيدة ألفت أن تستعد لمحاورتنا.

- السلام عليكم.

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

- معك أبو رائد من دائرة البحث الاجتماعي.

- أهلا أخي أبا رائد.

- أما زال زوجك في السجن؟

- نعم.

- هل كنت تتوقعين أن يصل زوجك وولداك إلى ما وصلوا إليه؟

لا

- وابنتك؟

- كان الله في عوننا جميعا.

- كيف حال ولديك الآن؟

- ماذا أقول لك يا أخي؟ دخل الكبير السجن والآخر في المستشفى تحت العلاج.

- والمال والشيكات المرتجعة.

- انتهى كل شيء، ولم يبق لنا إلا الله جلت وعلت قدرته.

- كيف تحملت وأنت المرهفة التي لم تتعود على الحرمان وشظف العيش؟

- لقد استخرت الله تعالى في أمري، وسلمت إليه عقلي وقلبي، وبعد أن توفي أبي وأمي

وأبو زوجي وأمه وجدتي بقينا وحيدين، وتوجهت إلى الله كما قلت لك.

- والنعم من الله تعالى ولكن هل من ضوء في نهاية النفق؟

- لا أعرف.

- والناس أيوجد من يقف إلى جانبكم ويساعدكم؟

- نعم وهم كثر والحمد لله، لقد أعطيت الكثير ووقفت مع الكثير وهم الآن يردون الجميل؟

- وماذا عنك؟

- توظفت وأتلقى مساعدة من عم زوجي وأخوالي.

- لا أخفي عليك، توقعنا غير ذلك وخاب توقعنا والحمد لله، وجدنا فيك نعم الأم ونعم الزوجة الصالحة الصابرة المؤمنة.

- صحيح فأنا لم أتوقع أن يحصل ما حصل وكدت أنهار بداية، صبرت وكتمت مصيبتي وتوجهت إلى الله وصرت أكثر من الصلاة والدعاء والحمد لله على كل حال.

- وماذا بعد؟

- أقول بلا فخر أن لي عقلا راجحا وايمانا راسخا، لم يفسدني المال كما أفسد زوجي وولدي

انقطع الحوار بعض الوقت، سمعت نشيجا عبر الأسلاك وحزنت، ثم جاءني صوت ضعيف هامسا متقطعا.

- لا تشمت بي يا أخي، ما بي من الأسى يكفيني.

- أنا آسف، أنت لم تدركي قصدي وحاشا لله أن أشمت بك والعكس هو الصحيح، أنا أقدرك وأحترمك ومعجب بصمودك وصبرك وإيمانك، نحن نتحدث عن تجربة أحب أن تعمم ليكون فيها العظة والعبرة، السؤال الأخير، نطرحه دائما في نهاية كل مقابلة:

- ماذا تقولين للمرأة بشكل عام.

- المرأة طيبة منفعلة، ضعيفة تحب أولادها وتحب زوجها وبيتها، بعض الرجال يستغلون هذه المشاعر ليملي عليها شروطه ويوقع بها أقسى العذاب.

- كان هذا في عصر الحريم قبل عصر الانفتاح والتعليم وحقوق المرأة وحريتها، أليس كذلك؟

- بلى إلى حد ما، لكن المرأة هي المرأة والرجل هو الرجل في كل زمان ومكان ولولا خوفي من أن أتهم بالرجعية لقلت أن المرأة سابقا أفضل منها اليوم، الأخلاق كانت أحسن والحياة أكثر هدوءا، الناس أكثر قناعة، الآن زادت المشاكل مع ازدياد المال، ساءت الأخلاق وانتشر الفساد وبلغ السيل الزبى، المطلوب من المرأة الآن أن تكون أكثر وعيا وإدراكا وقدرة على التعايش مع التغيير الكبير الذي جاءت به الحياة الحديثة مع الثبات على العقيدة والإيمان.

- كل الشكر لك يا أخت ألفت، سامحينا لقد أطلنا عليك، لكن الموضوع يستحق ذلك وندعو لك الله تعالى أن يحفظك ويرعاك ويحقق لك رجاءك.

هل يتعض الزناة

في هذا اليوم لم نتصل نحن، هو الذي اتصل، شكرته وتمنيت أن يتصل بنا كل من لديه مشكلة وكل من يهمه أمر أسرنا ومجتمعنا.

كنا لم نزل في الدائرة نعد لتقرير اليوم ونستعد ليوم غد إن شاء الله تعالى، جاءنا صوته عبر أسلاك الهاتف:

- أنا في السجن أرجو أن تزورني يا أبا رائد. ذكر لنا اسم السجن وموقعه. سارت السيارة بهدوء ورتابة بين حقول القمح حيث يتمايل الزرع مع هبات رياح آذار مما يزيد من نشاطنا وحبنا للعمل، وبالرغم مما نحن في حيرة من هذه المكالمة ومن أين؟ من السجن، إذن وراء هده المكالمة قصة حزينة.

مادام هناك متسع من الوقت فلنتحدث، قلت لصاحبي.

- ماذا أوحت ليك هذه المكالمة؟

- أكيد قصة عرض انتهت بالقتل واقتيد القاتل إلى السجن.

أومأت لصاحبي بالموافقة، لقد قارب ظنه ظني، وأطلق كل منا لخياله العنان، وبعد أن أكملنا إجراءات المقابلة مع إدارة السجن أطل علينا بوجهه المتعب وقامته الهزيلة أشبه ما يكون بجرذ خرج لتوه من بركة، قرأنا في ملامحه البؤس والألم يجرجر خطواته

بثقل كأنما هموم العالم كلها حطت فوق ظهره، قلت مواسيا:

- (شد حيلك) ما زالت الدنيا بخير.

رد بيأس: أين هو الخير؟

واحترت كيف أبدأ معه، سارعت إليه اسمع قصته.

- أنا أبو رائد من دائرة البحث الاجتماعي وهذا رفيقي في نفس الدائرة، طلبتني في الهاتف وها أنا جئت.

- أنا أعرف، أريد أن تسمعوا قصتي وتنشروها بين الناس لتكون فيها العظة والعبرة، ألقى عقب سيجارته على الأرض وداسه بقدمه.

تزوجتها بعد قصة حب، استأجرت لها بيتا في المدينة حيث مكان عملي، حاولت براتبي القليل أن أوازن بينه وبين متطلبات البيت وهي كثيرة ومتنوعة، كانت تظهر لي القناعة والرضى، صار لنا أصدقاء نزورهم ويزورونا، وحتى لا أطيل عليك الحديث؛ بينما كنت أمارس عملي جاء سائق تكسي مكتب وقع في مأزق:

ارتكب حادثة سير حيث دهس طفلا توفى على الفور، وجيء بالسائق إلى السجن كان قلقا حائرا ينظر في كل اتجاه ويرجو الشرطي المسئول عن حراسته أن يسمح له بزيارة بيته لمدة ربع ساعة فقد وبيته قريب من المديرية، لكن الإجراءات لا تسمح وبخاصة أن الطفل الذي دهسه قد توفي، وعندما يئس همس إلي:

- أرجوك اذهب إلى بيتي، هناك امرأة أغلقت عليها الباب وهذا المفتاح معي، افتح الباب وأخرجها، وناولني عشرين دينارا مقابل هذا العمل، وطلبت منه توضيح الأمر أكثر.

- هذه المرأة أعرفها من قبل، وعندما غادرت زوجتي إلى بيت أهلها في القرية جئت بهذه المرأة لأمارس معها الجنس، ولكنها طلبت مني أشياء أحضرها من السوق، أغلقت عليها الباب حتى أعود، ولكن حدث معي هذا الحادث والباقي تعرفه.

أخذت المفتاح وعشرين دينارا وذهبت إلى البيت الذي وصفه لي لأخرج المرأة، بعد أن سألت توصلت إلى البيت بسهولة وفتحت الباب وكانت المفاجأة، صمت قليلا ليلتقط أنفاسه وصفق بيديه، ماذا أقول لك يا أخي، كانت زوجتي، تناولت المسدس من جانبي وأطلقت عليها ثلاث رصاصات وأغلقت الباب وجئت وقتلت السائق وسلمت نفسي للأمن العام، هذه مصيبتي وهذه قصتي، وجلس على الأرض منهارا باكيا لا يعرف ماذا يفعل.

بالرغم من عدم انفعالي، لقد سمعت الكثير وشاهدت الكثير ايضاً إلا أن موضوعة اثار اهتمامي وحزني معا وصرت افكر في كيفية التخفيف عنه واخراجه من الياس الذي وقع عليه وقوع الصاعقة، علق الصمت بيني وبينه، كل يفكر على هواه، هو تعطل لديه التفكير وسلم امره إلى الله تعالى وإلى المقادير تفعل ما تشاء.

أنا بدوري اصابني الياس ، لم يعد لدى الا الدعاء وتشجيعه بما قدرت عليه من بليغ الكلام والصبر، فقلت:

اللهم ربي انت ادري بمصيبته مني، وانت اقدر على انصافه إن كان مظلوماً وارحمه آن كان غير ذلك، اللهم دبر لنا فانا لا نحسن التدبير وقلت مخاطباً لنفسي.

- هي أقدارنا كتبت علينا، وقد تكون بأفعالنا.

هل يعنس الشباب؟!

مرة أخرى يتنوع الموضوع ويختلف، ليس بيدي أن يختلف ويتنوع تحكمه ظروف خارجة عن ارادتي والذي يحكم هذا التنوع وهدا الاختلاف هو الموضوع ذاته، وبالرغم من ذلك يظل الموضوع ضمن الاطار ذاته.

عمره اربعون عاماً، ومنذ زمن يبحث عن فتاة الاحلام ولم يجدها بعد، ما هي الفتاة التي تناسبه؟ ما لونها ؟ ما شكلها ؟ ما حجمها ؟ ما خلقها؟ ما هي مواصفات الزوجة لابن الأربعين؟

يقول: شاهدت الكتير، عشرات البيوت دخلت، أجهدت معي أمي وأخواتي وجيراني وأهل الحي والمعارف والأصدقاء، الكل يبحث عن فتاة الأحلام، لم يعتروا عليها بعد، غادرت إلى عالم آخر، أو هي في قمقم لا يراها الناس.

تاهوا بين البيوت والشوارع والمؤسسات، بين المتدينات والمتحررات وبنات الريف وبنات المدن، الكاسيات والعاريات والمتجلببات، الفقيرات والغنيات، البيضاوات والسمراوات والشقراوات من كل جنس ولون، خرجوا بنتيجة واحدة، لم تسقط فتاة الأحلام في قلبه بعد ولم تخرج من برجها العاجي.

وتقول عنه أمه: ليس به علة ولا هو أخرق، متوسط الثقافة ومتوسط الغنى، يشغل

أعمال حرة ويكسب منها أكثر مما يكسب من الوظيفة، ذو سمات جاذبة، حنطي البشرة، إلى الطول أميل، يحمل روح الشباب ومرحهم، يفكر بعقلانية، هذه العقلانية الزائدة عن الحد أورثته المشكلات كلها، ألا يقولون أن الزواج يحتاج إلى العزم والتصميم واللاعقلانية، الزواج يحتاج إلى التوكل على الله تعالى والنية الصادقة في تكوين أسرة.

هذه جميلة لكن حديثها لا يعجبني، هذه جامعية لكنها ليست جميلة، تلك موظفة لكنها سمراء، وغيرها جميلة لكنا منطوية على نفسها وأخرى والدها ليس من علية القوم وعاشرة يتيمة ربتها امرأة الأب وحادية عشرة جميلة لكنها ليست مثقفة.

احتار الاهل واحتار الاصدقاء واوقع الناس في حيرة وارتباك لهما اول وليس لهما اخر ادخلنا في مازق، تقول أمه، يحرج الناس ويؤذيهم في مشاعرهم، يرخص بنات الناس ويطلب منا أن نستمر معه في هذه اللعبة الرخيصة.

قالوا له: ليس هكذا تورد الإبل ولا هكذا الزواج، لو فعل كل انسان فعلك وتصرف تصرفك وتعقل تعقلك لما كان زواج ولما كانت اسر.

هلا سألت كيف تزوج أبوك وعمك وابن جيرانك، ام تريد أن تبتدع لنفسك انموذجاً خاصاً؟

لا والف لا أنت تلعب وتبعت. أنت لست طالب زواج وستر وفتح بيت ومسؤولية. لو كنت كذلك لتوكلت على الله تعالى حق التوكل ولعزمت امرك وحزمت رأيك وقلت: تكاد تكون الفروق بين النساء قليلة.

العشرة الطيبة والتسامح والتزام الدين منهجاً وسلوكاً يجعل من الزواج جنة وارفة

الظلال وبخاصة إذا كنت من اصحاب المروءة والخلق الحسن الذين يعبدون الله حق عبادته ويتعاملون مع الناس بنبل وكرامة.

هذه المنظومة تجعل من المرأة محبة وعشيقة وزوجة صالحة وتكون أسرة سداها الإيمان ولحمتها العلم، عندما يرزقك الله من حيث لا تحتسب.

عزمنا على مقابلة هذا الرجل والتحدث اليه.

السلام عليكم

وعليكم السلام

انت احمد خالد اليس كذلك؟

بلى أنا هو عفوا من معي؟

معك أبو رائد من دائرة البحث الاجتماعي، سمعنا عنك ما رغبنا في الحديث إليك.

تفضل.

لماذا لم تتزوج بعد ؟

لكل إنسان ظروفه؟

أليس هذا تهربا من الاجابة الصحيحة؟

هل أنت عازف عن الزواج مثلا، ام أن لك شروطا ومواصفات معينة في رفيقة العمر ولم تتحقق بعد؟

هي الثانية وليست الأولى.

على فكرة انا معجب بك من جانب وغير معجب من الجانب الثاني.

كيف؟

أنا معجب في التريث وحسن الاختيار لكني لست معجباً به إلى درجة الوسواس.

هل هو وسواس أم هو الحرص والحرص واجب؟

امن المعقول أن تمضي عشرين عاما وانت تبحث عن الزوجة ولم تجدها على افتراض أن الإنسان يبدؤ بالتفكير في الزواج في العشرين، وثمة سؤال آخر: اهناك في الموضوع سر لا تريد أن يطلع عليه أحد؟ سامحني على هذه الصراحة.

لك الحق فيما تقول وفيما تصدره من احكام، موضوعي نادر ومثلي قليل وبخاصة عدم وجود موانع.

هل يوجد في اسرتكم وعائلتكم من تأخر في الزواج مثل ما تأخرت؟

لا لا يوجد.

إذن لي الحق أن أقول ما قلت .

نعم لك الحق فيما قلت: لكنه حق يراد به باطل ، هو كلام معسول ونظري يصطدام في الواقع، لقد عرفت من اصدقائي ومعارفي ما جعلني افكر في هذا الموضوع كثيراً.

لمدة عشرين سنة؟

بالعكس تماماً، ازداد ترددي وخوفي وأصبح التفكير في الزواج ضعيفاً.

ما تقوله صحيح، فالإنسان يجب أن يستغل فورة الشبان ، فهي من السابعة عشرة حتى التلاثين، وبعدها تبدأ فترة الفتور.

وماذا بعد؟

وبماذا تنصحني؟

أن تتزوج وبسرعة ومن أول امرأة تقبل بك.

شكراً لك، لقد قلبت لدي كل المعاني والأفكار. سأعمل بنصيحتك إن شاء الله وستكون أول المدعوين في أقرب فرصة.

الفهرس

جوار مع صديقي اليمني	١٣
يوم الفرح	١٥
التقرير	٢٥
الشيخ و الطفل و العيد	٢٧
المعبر المغلق	٣١
خراب البيوت	٣٥
لم تمنحني الايام فرصة الاعتذار	٤١
المقامة الكتابية	٤٧
النقل	٥١
المقامة السمهرية	٥٧
الثقب الصغير	٦١
يوميات	٦٧
بوح النساء	٧٣
السيدة ألفت	١٠٩
هل يتعض الزناة ؟	١١٧
هل يعنس الشباب ؟	١٢١

مرني أبادر بقطف

ثماري كلها , لاجلبها

إلى طريقتك في

سلال ملأي , ولو كان بغضها

قد فسد وبعضها ما يزال

فجاً . فالموسم مثقلٌ بروعته

وناي الراعي يستمرك النجوى

في الظل .

شاعر الهند الكبير طاغور





شركة دار البيروني للنشر والتوزيع

الأردن - عمان - وسط البلد - شارع السلط - بناية رقم (٢٣)

ص.ب: ١٨٢٢١٢ عمان ١١١١٨ - تليفاكس: ٩٦٢٢٦٤٦٥١٠٠٤+

Email:beyrouni.publisher@gmail.com

ISBN 978-9957-568-32-0